السيد عبد الحسين دستغيب

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الدار الإسلامية



الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر

صف حروف وتركيب وإخراج فني

في الدار الإسلامية

تلفون : ٨١٦٦٢٧ ـ الحسن ستر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

السيد عبد الحسين دستغيب

إعداد
لجنة التعريب والتحقيق في الدار الإسلامية
الأستاذ نادر التقي

الدار الإسلامية
بيروت

الطبعة الأولى

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م



كورنيش المزرعة / بناية الحسن سنتر / الطابق الثاني
هاتف ٨١٦٦٢٧ / ص .ب : ١٤٥٦٨ تلكس ٢٣٢١٢ - غدير
فرع ثاني / حارة حريك مفرق الحلباوي / هاتف ٨٣٥٦٧٠

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حلقة أخرى من الحلقات التي تنتظمها السلسلة الذهبية . . . مجموعة كتب الشهيد السيد عبد الحسين دستغيب ، تقدّمها الدار الإسلامية إلى قرّائها الأعزاء ، مقرونة بالأمل في أن تسدّ حاجة لا ينفك بنو البشر عن التوق إليها والتعطّش لها ، في وقت من الزمان رديء ، عزّت فيه طهارة المعروف وجماله ، واستشرت أرجاس المنكر وبشاعته ؛ وبالأمل كذلك في أن تسهم في ردّ قسط من الجميل الذي طوّق الشهيد السعيد به الأعناق ، كيف لا وهو نفسه قد راح شهيداً في سبيل المعروف وضحيّة من ضحايا المنكر .

وما أحوجنا كذلك إلى أن نترسّم خطى الشهيد في دعوتنا لعمل المعروف : بالكلمة الحلوة الصادقة ، والنصيحة اللينة الصافية ، التي تخاطب من الناس قلوبهم أوّلاً . . فتنفذ من ثَمّ إلى عقولهم ، لا أن نجعل من أنفسنا وعّاظاً جفاةً قساة ، فتخطىء نصيحتنا

ـ بجفائنا ـ الهدف ، ويطيس سهمنا ـ بقسوتنا ـ عن مرماه !! .

وما أحوجنا أيضاً إلى أن ننهج نهجه ـ رحمه الله ـ في كبحنا لجماح المنكر : بوصفة الآسي الغيور ، وبلسمة المحب الحنون .

وهذا كتيِّبه ، بل سفره ، بين أيدينا ، صغيراً . . . إن عدّت الأوراق بين دفّتيه ، وكبير إن عدّت المنافع بين عطفيه ، يرسم لنا الطريق ويقول :

بَدار . . بدار . . إلى الخير والمحبة والمرحمة .
وحَذار . . حذار . . من الشر والمبغضة والمظلمة . .

هذا هو السبيل إلى المعروف ، فحيّ عليه . . فبالمعروف وحده ، نسدّ على المنكر كلّ سبيل .
والله المسدّد والموفّق .

الدار الإسلامية

كلمة المعرّب

بسم الله الرحمن الرحيم

المجتمع في ظلال
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحيـاة وجـود واستمـرار . . حقيقتـان تلخّصـان السنن والشرائع الإلهية في هذا الكون ، سنن أزلية أبـدية ، ثـابتة لا تحول ، دائمة لا تزول ، تنتظم كل مظاهر الكون في مسيـرته الصاعدة نحو الكمال .

فـالحياة في البـدء هي الوجـود ، ثم يتـطور هـذا الـوجـود ويستمر من خلال الحركة ، حركة الكائنات جميعها ، الحركة التي هي لازمة التطور والاستمرار .

والمجتمع مظهر من مظاهر الحركة ، دعت إليه الفطرة ، وفرضته سنّـة العيش المشترك على هـذه الأرض ، في محيط يحقق فيـه الإنسان ذاتـه ، من خلال تحقيق رسـالتـه كخليفـة للخـالق على الأرض ، في مسيـرة دؤوبـة مستمـرة نحـو الهدف ، نحو الكمال المطلق ، نحو الله .

وإن حقيقة وجود المجتمع ، ولازمة رسالة الإنسان فيه هي الحقيقة الأخرى ، حقيقة ضمان استمراره ودوامه ، إلى أن ترى المشيئة الإلهية فيه رأيها .

والإنسان . . اللبنة الأساس في هذ المجتمع ، فيه يحيا ، وفيه يقطع مراحل حياته الدنيا إلى أن يطويه « الموت » ، وهو مرحلة أخرى كذلك ، في نطاق الاستمرار والديمومة ، إذ الوجود يستمر خلال هذه المرحلة وبعدها ، فهي بالحق حياة أخرى ، حياة في الموت ، الذي هو في حقيقته تحول إلى حياة من لون آخر . حياة سمتها الخلود المطلق والاستمرار ، حياة هي البقاء ، بعد أن انتهت الأولى إلى الفناء .

والمجتمع أشبه بنبتة نتعهدها بالسقاية والتغذية ، كما نتعهدها بالرعاية والحماية ، حتى تستوي على ساق ، ثم تؤتي أكلها المرجوّ ، فنضمن بذلك لها البقاء والعطاء .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمثلان ـ في المجتمع ـ وجهي التغذية والرعاية . الأمر بأولهما يغذي المجتمع بغذاء العدالة والمحبة والخير ،والنهي عن ثانيهما يؤمن حمايته من الظلم والعدوان والشر ، ويدفع عنه الفساد ، فيضمن له بذلك حسن المسير والاستمرار . لذا فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعتبران الركيزتين الأساس اللتين

يرتكز عليهما استمرار هذاالمجتمع وبقاؤه ، هما الدعامتان اللتان عليهما تقوم سعادة البشرية في مجتمع يمثّل مدينة الخيروالمحبة ، المدينة الفاضلة ، ولا أعني مدينة أفلاطون ، إنما مدينة الله كما شاءها وأرادها لعباده ، واختص بها خليفته على هذه الأرض ، بعد أن حدد له دوره وواجباته ، ورسم له طريق خيره وسعادته ، فقال له في محكم تنزيله :

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ﴾ .

بيّن لهم سبحانه أن الدعوة إلى الخير ، والتي هي أمر بالمعروف ، تشكل ـ مع النهي عن المنكر ، والذي هو ردع للشر ـ أساس الفلاح ، فبهما يفلح العاملون ، ويكونون خير أمة أخرجت للناس .

وهذا الكتاب . . يتناول هاتين الركيزتين فيشبعهما بحثاً ودرساً ومثالاً ، محيطاً بهما من جميع الأركان ، مستوفياً كل ما يرعى نجاح العمل بهما من شرائط ومراتب ووجوه ، وذلك بأسلوب تفرّد به مؤلفه الشهيد السعيد ، وعرف عنه .

فحيّ عليه أيها القارىء الكريم ، ننهل من معينه ، ونيمم

معـه شطر الآفـاق الرحبـة ، آفاق الخيـر والسعادة ، والمحبـة والفلاح ، في الدنيا والآخرة .

ومن خير مسؤول نسأل التوفيق والسداد .

المعـرب

مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الدعوة هي الخطوة الأولى إلى معرفة الدين

الإسلام دين كامل خالد ، يتكىء على مناهج مشوّقة تهيّىء لمعتنقيه أسباب الحياة والحركة .

والدعوة إلى الدين هي الخطوة الأولى نحو معرفته . إذ ينبغي أن تبلغ أصوله وفروعه أسماع الناس ، فيتعرّفوا على حقيقته ، كي يغدو بمقدورهم أن يخطوا الخطوة الثانية في هذا السبيل فيعتقدوا بعقائده ويلتزموا أحكامه بحيث يأنسون ـ بمجرّد سماع اسمه ـ لعدالته ، ويعرفون كيف يتقبّلون أحكامه ويطبّقونها .

الدعوة والتكاليف العملية للمسلمين

حدّد الإسلام للمسلمين أفضل سبل التبليغ وأكثرها فعالية ، على أرضيّة ممهّدة ، بحيث يغدو كل فرد منهم مبلّغاً غيوراً لدينه .

ولو قيّض لهذا الاستعداد العامّ أن يطبّق ويوظّف بطريقة سليمة ـ الأمر الذي لم يحصل للأسف حتى الآن ـ لكان قميناً بالإسلام أن ينتشر على نطاق

عالمي في زمن غير طويل ، ولأمكن للبشريّة جمعاء أن تتعرف على عدالته وصحة مناهجه .

والإسلام لم يحدد شخصاً معيّناً بوصفه داعية للدين ؛ لكنه جعل إرشاد الجاهل تكليفاً عامّاً للمسلمين .

الدين أحبّ شيء إلى قلب المسلم

الدين بالنسبة للمؤمن الحقيقي الملتزم بالإسلام أعزّ إلى قلبه من أي شيء آخر . فالإيمان الإلهي ، والاعتقاد برسالة الأنبياء وبعصمة الرسول الخاتم ، والعلاقة التي لا تنفصم بمحبة أئمة الهدى ، التي هي حبل ممدود من محبة الله والإيمان الوثيق به ؛ كل هذا لا يدع مجالاً لأن يسكن قلب المؤمن حبّ أقوى من حبّ الله والإيمان به .

القلب العامر بحبّ الله لا مكان فيه لحب الدنيا .
كسلطان يتطلّع إلى جيفة نتنة .
فالدنيا جيفة نتنة ، وطلّابها كلاب .

الحسين (ع) سيّد الأحرار

كلما قوي الإيمان بالله تعالى ، كلما أضحت محبة الدين والتعلق به أشد قوة ورسوخاً لدى أولئك الذين لديهم الاستعداد لغسل أيديهم من ميول أنفسهم ، والتضحية ـ في سبيل دينهم ـ بكل غال ونفيس .

أولئك هم المؤمنون الملتزمون حقّاً ، وعلى رأسهم أمير الأولياء وسيد الشهداء الحسين بن علي (ع) ؛ الذي قدّم نفسه وأهل بيته وأنصاره فداء لحفظ كيان الدين وصوناً لبيضة الإسلام . وكم هو عظيم قدر دين الله عنده (ع) حتى يستشهد ابن رسول الله (ص) وأهل بيته ـ بكل قدرهم وجلالهم عند الله ـ لتثبيت أركان هذا الدين ، وهو القائل : « إنّي لم أخرج أشراً ولا

بطراً ، ولا مفسداً ولا ظالماً ؛ وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي ؛ أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر . . . » .

مراتب المعروف والمنكر في الأهميّة

من المسلّم به أن للمعروف والمنكر مزاتب من حيث الأهمية ، فالإثم الصريح المكشوف وهتك الحرمات الإلهية لا يستويان مع الإثم المستتر ، والمعصية التي تترتب عليها مفسدة شاملة تنعكس على مجتمع كبير من الناس لا تستوي مع معصية لا تتجاوز مفسدتها فرداً واحداً أو أهل بيته . ومن هذا المنطلق ورد في القرآن المجيد أن الفتنة أشدّ من القتل ، وأن إثمها أكبر وأشد ، وبالتالي فعقوبتها أشد . ذلك أن الصدمة المترتبة على قتل فرد لا تتجاوز حدود عائلة واحدة ، في حين أن الآثار السيئة للفتنة قد تمتد لسنوات وتتّسع وتنتشر .

تحمّل الضرر في النهي عن المنكرات العظيمة

ومن هنا ينبغي التوجّه إلى ضرورة مراعاة الأهم فالأهم في هذه الأمور . كما ينبغي تقدير الوضع بدقّة . فالبعض قد سمعوا أن شرط النهي عن المنكر هو ألا يقع ضرر بالنفس أو بالآخرين عند التصدي له ، في حال أنه لا فرق بين ذاك المعروف أو ذاك المنكر . كما أنه لا تفاوت في الضرر أيضاً !! .

لا ، فالأمر ليس كذلك ، إذ أن الوقوف في وجه بعض المنكرات قد يتطلب حتى التصدّي بالنفس لمنع هذه المنكرات الكبيرة ، والتي يمكن أن تكون مصدراً لمنكرات أخرى كثيرة . وينبغي رؤية كم من الأرواح يمكن أن تزهق في هذا السبيل ، وفيما إذا كان دفعها ذا قيمة أم لا .

السفور إثم أساسي ظاهر

ففي هـذا القرن ـ مثلاً ـ برزت مسـألة السفـور في أيـام الـطاغيـة رضـا خان ، والتي هي معصية حقيقية ترتكب علناً وخلافاً لأحكام الإسـلام وصريـح التعاليم الأكيدة للقرآن المجيد ، هذه المعصية ليست كـالكذب أو الغيبـة التي يقارفها شخصـان أو ثلاثـة وتنحصر في مجلس واحـد ، ذلك أن امـرأة تحضر مجتمعات عامة للمسلمين، وهي حاسرة الرأس بارزة الصدر ، فكـأنما تصـرّح وتعلن : أنا لا أهتم بتعاليم الإسلام ، وهأنذا أخالفها دون خوف أو وجل !! .

ومن شأن أمر كهذا أن يوجد بواعث لدى البعض ، وحالـة تراخ وتهـاون لدى البعض الآخر من ضعاف الإيمان تدفعهم لتجاهل ذنوب أخـرى غيرهـا : كنـظرة الخيـانـة والشهـوة ومـا يستتبعهـا من مجـريـات سيئـة تـرتبط بـالشـرف والناموس ، وهتك الحرمات ، وتشتت الأسر ، إلى ما هنالك من المفاسد .

تحمّل الضرر الشديد في النهي عن السفور

ففي هذه الحالة ، إن استطاع فـرد أو مجموعـة من الأفراد ، أو مجتمـع أن يتصدى لهذا الإثم الذي هو مصدر لآثام أخرى كثيرة ، أو استـطاعوا ـ على الأقل ـ أن يحدّوا من انتشاره ، أو يعيقوا مزاولته مدّةً يتمكنون خـلالها من منـع تولّد آثام أخرى عنه ، فكلّ ضرر يترتّب على تحقيق هـذا الإنجاز المهم يعتبـر مبرَّراً وذا قيمة وجدوى .

إن ما جرى في مسجد (كوهرشاد)[1] ، وما وقع يومها من أحداث راح ضحيتها العديد من الشهداء الأبرار ، والتذرع الـذي جرى يـومذاك بحجـة أن عدم السكوت كان يوجب وقوع الأذى بنا ، وأننا سنقتل بدورنا لو رفعنا أصواتنا بالاحتجاج !! فكل هذا مرفوض ، والأمر ليس كذلك أبداً ، إذ ليس بـالإمكان أن يقتل الجميع ، ولـو أنهم ـ على الأقل ـ رفعـوا أصواتهم استنكـاراً لما وقـع

---

(١) مسجد ملاصق لحرم الإمام الرضا في مدينة مشهد .

للعديد من الأبرياء ـ في بيت الله ، وقرب ضريح الإمام الرضا (ع) ، من قتل وتمريغ بالدم والتراب ، لكان حرياً أن تخف حدّة ما وقع ، ولو نفض البعض عنهم ـ إذ ذاك ـ غبار الخوف ، وأظهروا استعدادهم لتحمل الضرب والشتائم ، وحتى السجن والنفي ، إذاً لمنعوا وقوع هذا المنكر الفظيع ، أو لعرقلوا وقوعه على الأقل ، فالأمر يستحق ذلك ؛ حتى لو تكرر مثيل ما جرى في مسجد (كوهرشاد) ، فالأمر جدير ، والأذى المحتمل مبرّر كذلك .

حكومة الطاغوت أنكر المنكرات

طريق الأئمة يغدو لنا حجّة ، حين نرى أبا عبد الله الحسين (ع) وقد صمم ـ مع توفّر الشروط ـ على أن لا يستقرّ به مقام حتى يضحّي بنفسه وأهل بيته وأنصاره ـ دون خاطرة من ندم ـ في سبيل إحقاق الحق وإبطال الباطل .

وها هو يقول في خطبة له غرّاء : « ألا ترون إلى الحق لا يعمل به ، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه » ؟! وكيف أن الحقائق قد انقلبت إلى ضدّها ؛ فغدا المنكر معروفاً والمعروف منكراً ؟! .

كان الحسين (ع) يعرف تماماً أن ما يجري سيكون له ما بعده ، فكم من أحداث هائلة أعقبت واقعة كربلاء الدامية ! وكم تلتها ثورات كبيرة : كثورة المختار في العراق ، وانتفاضة التوابين وغيرهما من الثورات التي أدّى اشتعالها إلى زلزلة كيان بني أمية بسرعة ، فانعكست الآية وكانت العاقبة .

أجل ، فاستشهاد الحسين (ع) كان عظيم الجدوى كبير الأثر ، وعلى أثر فاجعة كربلاء قتل عشرات الألوف ، لكن الحق عاد إلى انبلاجه ، وافتضح الباطل أيّما افتضاح .

« أشهد أنّك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة ، وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر ، وجاهدت في الله حق جهاده » .

حبّ النفس عامل مثبّط

إن الظروف والشروط التي قام الطاغية رضا خان ـ من خلالها ـ بهتك الحرمات الإلهية ، على الشكل الذي تمت به ، والتي أعقبها فجائع يعزّ نظيرها ، هذه الشروط تجعل من الجهاد فرضاً واجباً ، ذلك أنه نهيٌ عن منكر سفكت فيه دماء طاهرة غزيرة ، وهو مستوفٍ لشرائط الجدارة والاستحقاق .

ولا أتصور أن إنساناً واحداً لديه أدنى اعتراض على هذه المسألة ، وإن وجد شيء فوراءه تقف الأنانية ، التي هي العامل الأساس الذي يحول دون الاعتراف بهذه الحقيقة مهما بلغت ، والتي يريدون تجسيدها عملياً . فكل من أحبّ نفسه ، ولم يكن لديه الاستعداد لمواجهة أصغر صدمة ، يتذرع بأوهى الأعذار فيقول : « الأمر غير ممكن » .

رأينا أنه لا شيء محال

ومع ظفر الثورة الإسلامية في إيران ، بقيادة المرشد الربّاني المسنّ ، نقي القلب والضمير ، الإمام الخميني ـ مدّ الله ظلّه ـ رأينا الكثير مما نتوهّم استحالته ، أنه لم يكن ممكناً فحسب ، بل هو قد وقع فعلاً .

أجل ، فحين يخيّم الخوف والجبن على المجتمع ، وحين يكون القادة السياسيون أو الدينيون من الحريصين على مصالحهم ، أو من مقتنصي الفرص ، أو أسرى الجاه والمقام فإن القضاء على أنكر المنكرات ، أي حكومة الطاغوت ، يغدو إذا ذاك مستحيلاً .

أما إذا توفّر قائد شجاع مقدام ، بصير بالأمور بعيد عن الأنانية ، مستعد للتضحية التي لا تعرف المصالح الذاتية إليها سبيلاً ، يرى الحق ويؤمن به ولا يستلهم سواه ، قادر على اتخاذ القرار ، فالقرار ـ إذا ذاك ـ يكون مؤثراً فعّالاً .

نادر أفشار والشيخ الشجاع

يـروى أن الملك (نـادر أفشـار)[1] رأى في إحـدى المعـارك مـع (الأفغان) شيخاً يجول في ساحـة القتال ، وقـد أحكم حزامـه وامتطى صهـوة جـواده ، ينقضّ بعزيمـة الشباب على الأفغـان فيبعثر جمـوعهم ؛ وهم يفـرّون أمام سيفه خوفاً ورعباً .

وبعد انتهاء المعركة ، أحضره إليه وقال له :

ـ أيّها الشيخ ـ هذه القوة والشجاعة اللتين رأيتهما منك اليوم ، أين كانتـا طوال تلك السنين من التسلّط والغزو الأفغاني للبلاد ؟ ولمَ لم تستخـدمهما من قبل ؟ .

فأجابه الشيخ . . وما أجمله من جواب . قال :

ـ هذه القوة والشجاعة إنما تحتاجـان إلى قائـد كنادر أفشـار حتى تظهـرا وتثمرا وتعطيا أكلهما .

الساحة بحاجة إلى قائد مقتدر

أجل ، فإن قائداً كإمام الأمة ، رجلًا حـرّاً مستقيماً ، قـد اجتاز امتحـان النفس بنجـاح ، ولم يبق لأحد مجـال لأي تردد نحـوه ، هو مـا تحتـاجـه تلك الفِـطَر الـطاهـرة كي تتفجـر ، وعلى الأخص فـطرة الشبـاب والشجـاعـة كي تستضيء بشمع وجوده ، وكي تضع أوامره وتوجيهاته نصب أعينها .

يقـول أحد الأصحـاب ، وهو ممن لـديهم اطّلاع كـامل على مجـريات الأمور :

ـ لو كان واضع الخطط لهذه المجريات إنسان غير شخص الإمام ، لمـا كـان بمستطاعنـا أن نطمئن إلى نقـاء هذه الثـورة ، وصـدقهـا في التحـريـر ،

---

(١) ملك إيراني حكم إيران قبل ٢٥٠ سنة تقريباً .

ولانتهى الأمـر بنا إلى ظهـور رأس من (البيت الأبيض) أو من (الكرملين) ، أو ظهور تابع لأحدهمـا . وحيث إن الإمام هـو الموجّـه الأصيل لهـذه الثورة ، وهو من أعطاها خطّها واستمرارها ، فليس هناك احتمال للتوجّـه نحو شـرق أو غرب ، والثورة إسلامية أصيلة قطعاً .

في البدء كان التقصير

من هنـا . . علينا أن نصغي بـإمعـان إلى قـول شهيـدنـا الكبيـر آيـة الله دستغيب إذ يقول :

ـ علينا جميعاً أن نتوجه لطلب التوبة عما بدر من تقصيرنا السابق ، ذلك الذنب الذي لم نلتفت إليـه ، أو لعلنا حتى لم نتخيله أبـداً ، ألا وهو تقصيـرنا في التمهيد للحكومة الإسلامية والإطاحة بالطاغوت . وإن منكـراً مثل حكـومة الطاغوت تتعذر إزالته بغير الاتحاد ورصّ صفوف أفراد المجتمـع ، وكلنا ـ في تحقيق هذا الأمر ـ مقصّـرون ، وقد أسهمنـا ـ بشكل أو بـآخر ـ في وقـوع تلك المصائب والويلات . لكن الله سبحانه عفوّ غفور ، وهو أرحم الراحمين .

منكرات يُنتهى عنها تلقائياً

بعـد القضـاء على أم المصـائب وأسـاس المنكـرات ـ عنيت حكـومـة الـطاغوت ـ فمن البـداهة بمكـان أن فـروع هـذا المنكـر ستنتهي بنفسهـا إلى الزوال ، وهذا ما نشهده إذا ألقينا نظرة شاملة على وضع الحكومة والبـلاد بعد خمس سنوات من انتصار الثورة .

فالعين لا تقع على محل واحد يبيـع الشراب علنـاً ، أو نادٍ للقمـار ، أو مركز للهو (كابـاريه) أو مكـان لأكل الـربا . أو مسبـح مختلط ، أو آخر على شـاطىء البحر . . إلى مـا هنالـك من تلك الفجـائـع ، كسفـور فـاضـح ، أو مجمعـات مؤسفة لمـوسيقى الـطرب ، والصـور الجنسيـة في المـطبـوعـات ، والأفلام العابثة في دور السينما .

مظاهر المعروف التي تنتشر بعفوية وبساطة

ومن ناحية أخرى ، فعلى أثر قيام المعروف الأصيل بقيام الحكومة الإلهية وولاية الفقيه ، تنتشر بعفوية مظاهر المعروف الأخرى . فالمذياع وأجهزة التلفزة تنقلب إلى معاهد عمومية للعقيدة والسياسة الإسلامية في الإدارات والمصانع ، وكذلك تشكل المجالس الإسلامية وأركان الثورة مصادر لآثار وفيرة للمعروف ، وهذه المظاهر من المعروف تأتي بعفوية بعد أن يتحقق المعروف الأساس ، ثم تنتشر بيسر واتساع .

تعزيز القيادة في سبيل الهدف الإسلامي

من هنا فالأمر يقتضي منا الكشف عن الجذور ، إذ أن كل هذه البركات إنما انبثقت عن ولاية الفقيه والحكومة الإلهية ، ونحن ـ بتعزيزنا لمقام القيادة ـ إنما نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ؛ وعلى كلّ منّا ـ في أي مركز أو مقام كان ، وفي أي موقع من مواقع المجتمع ـ أن يلزم نفسه وأن يدرك أن واجبه الأساسي فعلاً هو تعزيز أساس ولاية الفقيه والقيادة الإلهية .

وكلما أصاب ضعف ـ مهما كان لون هذا الضعف ـ مقام القيادة ، فإن آثاره ستنسحب على المجتمع بكامله وكل معصية كبيرة ينبثق منها ـ كما تقدم منا القول ـ بعض المنكرات التي تفوقها في الأهمية ، فيذرّ الشقاق بقرنه ، ويعم الاختلاف ، الأمر الذي يزلزل كيان الحكومة الإسلامية ويضعفها . وهذا أنكر المنكرات ، ويجب الوقوف بوجهه وقوفاً جذرياً قاطعاً .

إلى أولئك الذين لديهم ثمالة من الدين

إنني أخاطب أولئك الذين يظهرون التديّن ، ولديهم من الدين ثمالة . أمّا أولئك الذين ترجح المنافع المادية لديهم على أي شيء آخر ، والذين لا يشغل تفكيرهم وأذهانهم سوى المعدة والشهوة والمنصب ، أمّا أولئك فلا شأن لنا معهم ، نحن لا نوجه كلامنا إلى حفنة من الناس هي إمّا طالب سلطة

وامتياز أحمق ، وإمّا وطني منحرف ، وإمّا ميّـال إلى يمين أو يسار ، أو منـافق ضد الخلق تمّ غسل دماغه ؛ بل نوجّه كلامنا إلى الذين يريدون تعزيز الإسلام وتطبيق أحكام القرآن ، ويعملون بالمعـروف ويجتنبون المنكـر . وسبيل هؤلاء هو ما جرّبناه . . وإلاّ ، فلماذا نسلك السبل الملتوية ؟! .

قائدا الحال والاستقبال

إننـا إذ نجلّ الإمـام ونعظّمـه فليس من أجل شخصـه ، بـل لأنـه نـائب الإمام ، وفيه يتجلّى الإسلام الحق ، وتتبلور روحانية الإسلام ، وحقيقـة ولاية الفقيه .

وإنّنـا إذ نجـل آيـة الله العـظمى المنتـظري ، فليس من أجـل شخصــه كذلك ، بل لأنه غرسة خضـراء تخرج أصـولها من دوحـة ولاية الفقيـه الحافلة بالثمار ، ويشتد عودها ويستحكم لتغدو محطّ آمال المستقبل للمسلمين .

لو كان التقـرير الإلهي شيئـاً آخر فكـل فقيه محتـرم توفـرت فيه شـرائط القيادة جدير عندنا بنفس الإجلال والتعظيم اللذين محضناهمـا للإمـام وللشيخ المنتظري ، كونهما يمثلان قائدي الحال والاستقبال .

نحن نحترم قائد المسلمين الجدير ونطيع أوامره لأننـا عشّاق لـلإسلام . وطالما بقي الإمام الخميني حيّاً (نسأل الله له طول العمر ودوام العافية) وحتى يتبوأ آية الله المنتظري سدّتـه (زاد الله في توفيقـه) فتكليفنا واضـح . وإن بقينا من الأحياء ، والآخرون كـذلك ، فـواجبنا معـروف ، وقد نصّ عليـه صراحـة دستـور الجمهوريـة الإسـلاميـة ، في شـرائط القيـادة تحت عنـوان « التكليـف الإسلامي » . وسنجسد الوفاء لدماء آلاف الشهداء ونعمل بموجبه إن شـاء الله تعالى .

أنواع المعروف التي يجب على الجميع الأمر بها

عرفتم من خلال حديثنا بعضاً من أنواع المعروف التي يجسّد الأمر بها خلاصة مقام قائد المسلمين . الممسك بزمام أمورهم من حيث وضع القوة الإجرائية تحت إمرته ، وبالتالي فالنهي عن المنكرات هو من شأنه ، الأمر الذي رأينا الكثير من مصاديقه في مجريات انتصار الثورة الإسلامية[١] .

أما الأنواع العادية من المعروف والمنكر ، فيقع الأمر بها والنهي عنها على عاتق الناس أنفسهم . من قبيل أن كل فرد مكلّف بأن يحثّ أهله على أداء الصلاة وأن يحول دون وقوع المنكر[٢] .

وفي الأصل فإنْ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما من واجبات المسلمين التي ورد الأمر بها تحديداً في مواقع متعددة من القرآن المجيد[٣] .

وإن من بين صفات المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم ، الصفتان المذكورتان أي : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٤] .

مسؤولية العلماء أشدّ ثقلاً

وفي هذا الصدد فإن على أهل المعرفة والأشخاص الذين يستمع الناس في المجتمع إلى أقوالهم ويتقبلونها ، والذين يولي الناس اهتماماً أوفر لتوجيهاتهم ، على كل هؤلاء تقع مسؤولية رئيسية ، كما ذكر عن العلماء

---

(١) لمزيد من الشرح يراجع كتاب (ولاية الفقيه) لواضع هذه المقدمة ، حيث وردت على ذلك أدلة وجيهة من الكتاب المجيد .

(٢) ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ﴾ سورة التحريم (٦٦) : الآية ٦ .

(٣) ﴿ كنتم خيراً أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ سورة آل عمران (٣) : الآية ١١٠ .

(٤) ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم . . . * التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر . . . ﴾ سورة التوبة (٩) : الآيتان ١١١ ، ١١٢ .

والأحبار في الأمم السالفة ، إذ وُجّه التوبيخ واللوم إلى الأحبار من بني إسرائيل لأنهم لم ينهوا قومهم عن قولهم الإثم وأكلهم المحرمات ، وارتكابهم للكثير من أعمال السوء[1] . أي أن ترك النهي عن المنكر هو ـ بحدّ ذاته ـ أمر قبيح مستهجن .

يستفاد من الرواية الشريفة التالية أنّ من حقّ الأخ المؤمن على أخيه أن ينتصر له ، سواء كان ظالماً أو مظلوماً :

« انصر أخاك ظالماً كان أو مظلوماً » .

الراوي يسأل الإمام : عرفنا نصرته في حال كونه مظلوماً ، ذلك أن نمنع الأذى عنه ، أما نصرته في حال كونه ظالماً فهذا ما لم نفهمه ؟ .

وكان مضمون جواب الإمام (ع)[2] : لا تسمحوا له باقتراف الظلم ، وقفوا في وجهه ، وهذا في حقيقته نصرة له تمنعه من التمادي في المنكر .

حيث تكون يد القانون قاصرة

الإسلام دين جامع شامل متكامل ؛ لم يدع أمراً إلّا وعالجه ووضع له القوانين ، ثم أمر الجميع بتحمّل مسؤولياتهم كي تسري هذه القوانين وتنتشر حاملة السعادة إلى الناس ، فقال :

« كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته » .

---

(١) ﴿ لولا ينهاهم الربّانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت ، لبئس ما كانوا يصنعون ﴾ سورة المائدة (٥) : الآية ٦٣ .

(٢) نظراً لأن أبحاث هذا الكتاب أخذت عن محاضرات للشهيد دستغيب ، وإذ تجاوز ـ رحمه الله ـ عن ذكر المصادر فإن الروايات والأحاديث التي ترد دون مزدوجتين « . . . » إنما تفيد المؤدى من الحديث وليس النص . فيرجى الالتفات إلى ذلك فيما يستقبل من أحاديث في هذا الكتاب .

أي على الجميع أن يقوموا بإرشاد الآخرين ، فيأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر . علاوة عن أن بعض أقسام المعروف يعود الأمر بها إلى الحكومة الإسلامية ومقام القيادة ، كما أن بعض المناهي هي من شأنهما أيضاً . أما الأوامر والنواهي الأخرى فالأمر بها والنهي عنها يقعان على عاتق الجميع ، وبتعبير آخر : حيث تكون يد القانون قاصرة ، فالأوامر والنواهي تقع على عاتق الأفراد وفي نطاق مسؤولياتهم .

إقامة الصلاة والامتناع عن الكذب

فمثلاً ، ليس بمقدور الحكومة الإسلامية أن تخصص مأموراً لكل فرد كي يرعى إقامته للصلاة (وأصلاً فإن صلاة كهذه ـ يقوم بها الفرد خوفاً من الحكومة ـ لا خير فيها ، إنما الخير في صلاة تقام لله تعالى وامتثالاً لأمره) . كذلك ليس بمقدور الحكومة أن تخصص لكل فرد مأموراً يمنعه من قول الكذب أو الغيبة ، إنما هذا من واجبات الناس أنفسهم ، يقوم به كل منهم تجاه الآخر ضمن توفّر شرائط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

حتى بعض الأمور التي هي من شأن الحكومة الإسلامية : كمنع الاحتكار والحدّ من الغلاء ، وكذلك كل عمل ، مستقيماً كان أم غير مستقيم ، فهي بالضرورة من شأن الناس كي يتم قمع هذه المنكرات واقتلاعها من الجذور .

رعاية الأمة تطبيق أحكام الإسلام

لئن استطاعت الجمهورية الإسلامية أن تقيم أحكام الإسلام فذلك لأنها اتكأت على دعم الناس أنفسهم ، كما توفرت لها مساعدة صادقة قدمتها الأمة قاطبة لتطبيق هذه الأحكام الإلهية .

ولا شك أن الأمة عرفت في هذه الجمهورية جمهورية الإسلام الحق ،

ولا شك أن انتصارها وما أحرزته من توفيق هو نصر للإسلام .

نحن نرى ضعاف النفوس ممن باعوا أنفسهم كيف أنهم ـ تهاوناً منهم بالحكومة الإسلامية ـ يسمحون لنسائهم أن يخرجن سافرات أو بنصف حجاب يلقينه على رؤوسهن بشكل يكشف حتماً قسماً من شعورهنّ ؛ أو يوصون أحباءهم من الشباب بالتمسّك بالمظاهر الغربية ، فيسمحون لهم بالخروج وقد وضعوا ربطة العنق ، وظهروا بمظهر غربي صرف .

من هذه التعليمات المعادية ندرك جيداً شرعية جمهوريتنا التي قامت باسم الإسلام تدعو إلى محاربة هذا النهج ، نهج السفور والانحلال والفحشاء .

المنافقون يأمرون بالمنكر

من هنا يتذكر الإنسان قول الخالق سبحانه ، إذ يذكر في القرآن المجيد أن المنافقين يأمر بعضهم بعضاً بفعل المنكر ، ويتناهون عن المعروف[1] .

أجل ، تلك هي سمة النفاق ، فهم في الظاهر يحابون الخلق بانحيازهم إليهم ظاهراً بـ ﴿ **وفضّل الله المجاهدين على القاعدين** ﴾[2] . ويقدمون آية قرآنهم ، في حين أن الحق هو أن يكون شعارهم الآية الشريفة : ﴿ **إنَّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار** ﴾[3] .

واليوم ، فإن وجوههم أضحت عارية مكشوفة ، كما أن الحنّاء الذي يطلونها به أصبح عديم اللون ، فقد مضى ذلك الزمان الذي كان فيه اللصوص الكبار يملأون جعباً من الادعاءات الجوفاء يقدمونها جرعات للناس المساكين والشباب البسطاء .

---

(١) ﴿ **المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف** ﴾ سورة التوبة (٩) : الآية ٦٧ .

(٢) سورة النساء (٤) : الآية٩٥ .

(٣) سورة النساء (٤) : الآية ١٤٥ .

حرب غير مباشرة مع مرتكب المنكر

ضرب آخر من أولئك الذين عميت قلوبهم هو المنافق المتنفّر ، ذلك الذي ينفر من كل أمر باقتلاع المنكر .

منهج المسلمين هو التبرّي والتولّي ، ومن شأن هذا المنهج النفور من المنكر ومرتكب المنكر .

يروى بأسناد متصلة عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال : أمرنا رسول الله بأن نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرّة .

وهذا في حقيقته نوع من المحاربة لمرتكب المنكر بصورة غير مباشرة . وبهذا فإن جذور النفاق والمنكر ستحترق إن وضعت هذه التعليمات موضع التنفيذ العملي وطبّقت بحذافيرها .

ليس هناك أشدّ نكراً من الصهيونية والمعتدين

الواقع أنه ليس هناك منكر ـ مع اعتبار الشرائط الفعلية ـ أشدّ نكراً من المعتدين ونظامهم الصهيوني ، وإسرائيل . إنها أسوأ حشرات تدبّ على الأرض ، وهي منشأ كل شر وفساد في المنطقة وفي العالم .

وهذا جزء بسيط من معلومات كثيرة ، ولا يخفى على أي إنسان كم خلّفت الأعوام الخمسة عشرة الأخيرة في الجوار ، وكم صدر عن نظام الجور اللعين من فجائع !! .

المجاهدون هم الناهون عن المنكر حقاً

من هنا نستطيع أن ندعو جنود الإسلام الذين يحاربون في جبهات الحق ضد الباطل ، أن ندعوهم بالآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، كما دعاهم الله سبحانه في الآيتين : ١١١ و ١١٢ من سورة التوبة . إذ هم من

المجاهدين الذين يتاجرون مع الله بأنفسهم وأموالهم ، ففازوا باسم الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر .

بل إن مجرد الحضور في الجبهات وتعزيز خنادق الحق لهو نهي عن أنكر المنكرات الذي تجسده حكومات الجور . كما هو أمر بأفضل المعروف ، ألا وهو تعزيز الجمهورية الإسلامية ونظام ولاية الفقيه الإلهي .

العمل في خندق الحق أمر بالمعروف

لو أعملنا الفكر وقمنا بتقييم خنادق الحق ضد الباطل ، لأدركنا أن العمل في أي ركن يكون باعثاً على تعزيز الحق وإضعاف الباطل أو محوه هو ـ في حد ذاته ـ أمر بمعروف ونهي عن منكر . وقد تحقق هذا المعنى في نظام الجمهورية الإسلامية واقعاً . فالشباب الأعزاء الذين يعملون في الحرس أو التعبئة ، أو أي مجمّع جهادي ، أو أي ركن من أركان الجيش المختلفة ، أو حتى في الإدارات العادية ، فإن كان عملهم في سبيل الله ، وعوناً للمستضعفين فهم إنما يؤيدون الحق ويهزمون الباطل .ويعد عملهم من أعظم العبادات . لذا عليهم أن يصبروا على أي عجز أو نقصان في سبيل الله ، وأن يتفانوا في العمل بهذا المنهاج المقدس دون كلل .

تأثير وجود الشهيد دستغيب كان أمراً بالمعروف

الشهيد الكبير آية الله السيد عبد الحسين دستغيب ، الذي قضى عمره في إرشاد الناس بالبيان والقلم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، طوى مراحل من النفي والسجن والتضييق ، وتلقّى صنوفاً من الآلام على يدي صديق جاهل وعدو عالم . والحق أن حياته يجب أن تكون لنا أنموذجاً ومثالاً ومنهجاً ، فهو قد بلغ من السموّ الغاية ، وكان مصداقاً للقول : « عاش سعيداً ومات سعيداً » . فالشهادة في سبيل الله سعادة .

كانت له أمـام المنكرات حسـاسية خـاصة . كـان عيداً للمعـرفة والعلم أقدم النظام الطاغوتي على تعـطيله ، على تلك الصورة المفجعـة في شيراز ، مع صرخات تدمي القلوب .

كان تأثير وجوده في منطقته أمراً بمعروف ونهياً عن منكر ، الأمر الذي بدا جلياً بعد فقده رحمه الله .

مجموعة من مواضيع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهذا الكتاب يضم مجموعة من بعض أقوال ذلك العظيم ، التي حفلت بها كتبه المختلفـة في شأن الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر . ومحتـوياتـه مصـداق لحقيقة « أن القـول الخارج من القلب لا جـرم سيسكن القلب » وهو مع تلك الجاذبية الخاصة ، إلى البساطة والسهولة ، سيكون ذا تأثير قطعاً .

مع الأمل بأن يتقدم مجتمعنا الإسلامي يـوماً فيـوماً في طـريقه الصـاعدة نحو الأهداف السامية لإمام الأمة ، التي تجسّد الإسلام الحقيقي ، وأن يكـون أكثر اجتهاداً و سعياً ، وأكثر توفيقاً . عارفاً قدر العاملين لـلإسلام ، والشهـداء الأعزة ، ومجاهدي الإسلام ، بمنّه وكرمه سبحانه .

السيد محمد هاشم دستغيب

شـيراز

٨ شهر يور ٦٣

الفصل الأول

الأمر والنهي أشد وطأة على العالِم

وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو بالنسبة للعالم العارف أقوى وأشد ، كما أن مسؤولية العالم بالنسبة لسائر الأمور الدينية والاجتماعية أكبر .

يروي حرث عن الإمام الصادق (ع) قوله : إننا نضيف ذنوب الجاهلين إلى حساب العارفين . . . لأنكم لمّا رأيتم انحرافاً من أحدهم ، وشاهدتم أن هذا مدعاة لغضبنا لم تؤاخذوه ولم تعترضوا عليه ، ولم توجهوا له توبيخاً أو ملامة ، ولم تبسطوا الحق في كف يده .

قال : قلت له : جعلت فداك . إنهم لا يقبلون كلامنا .

قال (ع) : عليكم في هذه الحال أن تهجروهم وتقطعوا ارتباطكم بهم .

كثيراً ما يغدو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مشكلة تشمل الناس كافة ، فيقصّرون في واجباتهم ، ولكن ليس من حيث إنهم تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل من حيث إنهم لا يعملون بما يقولون . وهذا العمل كبير ومهم عند الله ، وله تأثير في جرّ الناس إلى الفساد . يقول تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ، لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾[1] .

وعن أمير المؤمنين (ع) :

[﴿ . . فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ﴾ . « ظهر الفساد » فلا منكِرٌ مغيِّر ، ولا زاجرٌ مزدجِر . . . لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له ، والناهين عن المنكر العاملين به][2] .

وعن الإمام زين العابدين (ع) : ينهى المنافق عن المنكر ويعمل به ، ويأمر بشيء ولا يعمل به .

وطأة الدين والحساب العجيب

الميرزا مهدي خلوصي ـ عليه الرحمة ـ كان من أهل التقوى والكمال وقد وُفّقنا إلى صحبته ما يقرب من عشرين عاماً .

روى مرة حادثة جرت في أيام العالم الزاهد العابد السيد ميرزا محمد حسين يزدي ، أعلى الله مقامه . (وقد توفي في ٢٨ ربيع الأول سنة ١٣٠٧ ودفن في مقبرة الحافظية الغربية) .

قال : أقيم مجلس ضيافة في الحديقة الحكومية ، وجرى فيه حفل كبير دعي إليه رهط من التجار ، حضروا وقد ارتدوا ملابس رجال الدين ، كما كانت العادة آنذاك . وجرت في ذلك المجلس ضروب من أعمال الفسق والفجور ، من جملتها عزف للمطرب كليمي .

وقد نقلت تفاصيل ما حدث في المجلس إلى جناب الميرزا ، فغضب

---

(١) سورة الصف (٦١) : الآيتان ٢ ـ ٣ .

(٢) نهج البلاغة ـ صبحي الصالح ص ١٨٧ . (م) .

غضباً شديداً ، فارق معه هدوءه ورزانته .

وفي يوم الجمعة ، صعد المنبر في مسجد (وكيل) بعد صلاة العصر ، وبكى بكاءً مرّاً . وبعد أن قال بضع عبارات في الوعظ قال : أيّها التجّار الفجّار . كنتم دوماً تحضرون مجالس الفسق حيث يرتكب فيها ما حرّمه الله جهاراً ، وذلك من خلف أظهر العلماء ورجال الدين . وبدلاً من أن تزجروا رواد هذه المجالس عن الفسوق فقد شاركتموهم إيّاه . لقد فطّرتم كبدي ، لقد أضرمتم النار في قلبي ، إن دمي لفي رقابكم !! .

ثم نزل عن المنبر وقصد بيته ، وفي المساء لم يشهد صلاة الجماعة .

يقول الراوي : ذهبنا إلى بيته نستفسر عن أحواله فقيل لنا إنه طريح فراش المرض ، واشتدت الحمى عليه يوماً بعد آخر حتى أعلن الأطباء عجزهم عن شفائه ، وأشاروا بضرورة نقله إلى مكان آخر ، لتبديل الماء والهواء ، فتم نقله إلى حديقة سالاري (قرب مقبرة دار السلام) .

اتفق ـ آنذاك ـ أن وصل إلى شيراز رجل هندي اشتهر ببراعته في الحساب ، وعرف عنه أن حسابه لا يعرف الخطأ .

مرّ هذا الهندي يوماً أمام دكاننا ، فطلب مني والدي (المرحوم الحاج عبد الوهاب) أن أدعوه إليه ، علّنا نعرف منه أحوال الميرزا وما سيؤول إليه أمره فذهبت إلى الهندي ودعوته .

حرص والدي على عدم التفوه باسم الميرزا كي يبقي أمره مكتوماً . فقال للهندي :

أنا تاجر صاحب مال . وأريدك أن تخبرني إن كنت سأتعرض لمكروه في مستقبل الأيام ، وإن كان أمري سينتهي إلى السلامة أم لا . فهات أخبرني بما طلبت بالطريقة التي تشاء ، عن الجفر كانت أم عن الرمل ، أم عن أيّما شئت . وسأنقدك أجرك بالغاً ما بلغ .

كان والدي يعلن للهندي شيئاً ويضمر في نفسه أمراً آخر ، وهو : معرفة ما إذا كان الميرزا سيتماثل للشفاء أم لا .

انصرف الهندي إلى حساباته ، وبعد أن طال به الحساب جلس صامتاً يفكّر ، وقد بانت عليه علائم الحيرة فقال له والدي : أيها الرجل . . إن كنت من العارفين فقل ما تعرفه ، وإلاّ فلا حاجة بك لهدر وقتي ووقتك ، ويمكنك أن تنصرف مع السلامة ! .

قال الهندي : إن حسابي صحيح لا خطأ فيه . غير أنك أنت من أوقعتني في البلبلة والحيرة ، لأنك تضمر في قلبك غير الذي جرى على لسانك .

قال والدي : ما الذي أضمره إذاً ؟ .

قال : إن أزهد خلق الله على وجه الأرض يعاني الآن من مرض شديد ، وأنت تود أن تعرف عاقبة مرضه ، وإليك نتيجة حسابي : هذا الرجل ليس من أهل السلامة ، وسيموت بعد ستة شهور !! .

اضطرب والدي وغمره القلق ، ولكي لا يفشو الأمر فقد أنكره بشدة . ثم نقد الهندي مبلغاً من المال وصرفه .

وبعد ستة شهور انتقل الميرزا إلى جوار ربّه . . ! .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بمناسبة هذه القصة ينبغي التوقف عند أمرين :

الأمر الأول : هو أن من كبريات الواجبات الإلهية التي ورد الأمر الأكيد بها في القرآن المجيد وفي الأخبار ، كما ورد الوعيد الشديد على تركها ، هي : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ويعتبر ترك هذا الواجب من الكبائر . وقد بحث بالتفصيل في رسالة الذنوب الكبيرة .

وأولى مراتب النهي عن المنكر هي الإنكار القلبي ، بحيث تكون آثار استنكاره ظاهرة ، أي : يتوجب على كل مسلم حين يرى محرّماً يرتكب أن لا يرضى بهذا العمل ، بل وأن يستحضر إنكاره في قلبه بصورة تبدو معها آثار هذا الإنكار جلية واضحة عليه ، طالما كان يقف مع مرتكب الحرام وجهاً لوجه ، بل وعليه أن يمتنع عن لقائه ، وإن لقيه فليلقه بوجه مكفهرّ .

وخلاصة القول : يجب أن تكون آثار الإنكار ظاهرة على أعضاء وجوارح الشخص . وكلما كان إيمانه أقوى وتدينه أكثر ، كان إنكاره القلبي أمام المعصية أكثر شدة .

وحيث إن إيمان جناب الميرزا المرحوم كان في كمال قوته ، وكانت روحه الشريفة في منتهى اللطف ، ونور قلبه في منتهى الرقة ، حتى أنه كان يعزّ نظيره حينذاك ، وحيث إن ذلك الهندي أدرك من حساباته تلك الحقيقة ، حين سمع أن جماعة ـ ظاهرها الصلاح ـ هتكت الحرمات الإلهية ، أدرك أن مريضه فقد الطاقة على احتمال ذلك ، فاشتدت به العلة حتى فاز بالراحة من هذه الدار الفانية ، وارتحل من بين أولئك الأشرار ، والتحق بعباد الله الصالحين الأخيار .

غني عن القول أن السبب الذي دعا إلى تأثر هذا الرجل الكبير هو شيئان :

أحدهما : الفسق العلني والجهر بالمعصية ، مما يهوّن من شأن المعاصي في نظر الناس ويجرّئهم على ارتكابها .

وثانيهما : مظهر الصلاح الكاذب للتجار المشار إليهم . لأن الأشخاص الذين يظهرون بمظهر الصلاح هم الذين يتجه إليهم ـ عادة ـ رجال الدين وأهل المنابر بمواعظهم . هذا أولاً . أما ثانياً : فلأنهم الأشخاص الذين يلازمون العلماء ويواظبون على حضور صلاة الجماعة وسائر الشعائر الدينية ، فحين تصدر المعاصي عن أمثال هؤلاء ستضعف ـ يقيناً ـ عقائد الناس ، وتهن أحكام

الشرع لدى سائر الخلق ، وقد ورد في رسالة (الذنوب الكبيرة) بالتفصيل كيف أن المعصية الصغيرة الصادرة عن أشخاص يتظاهرون بالصلاح تعتبر بحكم الكبيرة .

الأمر الثاني : هو أن اطّلاع الهندي المذكور ـ أو آخرين من أمثاله على بعض خفايا الأمور ، ثم إخباره بها ، لا يحمل أي دلالة على كونه على الحق ، أو على صحة اعتقاده ومذهبه ، وتقرّبه عند الله . وذلك أنه يمكن لشخص بواسطة تسخير الجن ، أو التعلم من معلم على الضرب بالرمل وبعض العلوم الغريبة الأخرى ، أو بواسطة تركيز التخيل على بعض الأمور الخفية ، أن يتوفّر له الاطّلاع ، مع كونه يحمل عقائد باطلة ، وملكات قبيحة ، ويؤدي أعمالاً زائفة ، وليس لديه من الروحانيات نصيب ، إنما من عالم الشياطين هو أقرب اتصالاً .

أمّا ذلك الذي وصلنا عن السادة العظام من اطّلاعهم على الأمور الغامضة أو أنباء الغيب فينبغي أن نعرف أنه لم يكن أمراً مكتسباً ، إنما كان عطاء إلهياً وإلهاماً ربّانياً . فعليه ، لو قال أحدهم : إذاً ، فما الذي يميّز لنا الحق من الباطل ؟ فنقول :

أولاً : إن أصحاب العقول يدركون من أحوال الشخص وتصرفاته وأقواله إن كان روحانياً أو شيطانياً .

ثانياً : إذا ادّعى شخص كاذب مقاماً روحانياً ، واستطاع ـ بواسطة علوم غريبة أو إتيانه ببعض الأمور الخارقة للعادة المكتسبة ـ أن يخدع البسطاء ، فإن الله سبحانه لا بد سيفضح أعماله واقعاً . وعلى قاعدة اللطف فمن المحال أن لا يظهر الله حجته ، ويدع الناس يهيمون في أودية الضلال .

وإجمالاً ، فكلما مارس أصحاب العلوم الغريبة المكتسبة علومهم في سبيل إغواء الخلق وإضلالهم ، والتسبب في انحرافهم عن جادة الحق الإلهي فإن الله تعالى ـ لا بد ـ سيظهر الحق ، كما قال في كتابه المجيد :

﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾[1] .

وبالرجوع إلى كتب الروايات وكتب الرجال يتبين لنا ـ منذ صدر الإسلام وحتى القرن الثالث الهجري ـ أن الباري جل وعلا ، وبواسطة أئمة الهدى (ع) أظهر غلبة الحق على الباطل دائماً . كذلك ففي سائر القرون وحتى عصرنا هذا ، وكلما ظهر مدّعٍ للباطل ، فإن العلماء الأعلام وحماة الشرع الإسلامي المقدس يتكفّلون بعون الله بكشف زيف ادعائه وبطلانه . وهناك أمثلة على ذلك كثيرة ، لكن إيرادها يخرج بنا عن موضوع هذا الكتاب ، لذلك نكتفي بنقل قصة واحدة منها .

كربلاء قطعة من الجنة

في كتاب (أسرار الشهادة) للدربندي ، وكتاب (قصص العلماء) للتنكابني ورد أنه في أيام الشاه عباس ، أحد ملوك الصفويين ، أرسل ملك الفرنجة رسولاً إلى السلطان بكتاب يسأله فيه أن يدعو علماء الدين عنده لمناظرة رسوله في أمر الدين والمذهب ، ومما ورد فيه قوله : إن دحض علماؤكم حجة رسولي دخلنا في دينكم ، أما إن دحض هو حجتهم دخلتم أنتم في ديننا .

كان هذا المبعوث يحسن الكشف عن أي شيء يحمله شخص آخر في يده ، وتبيان صفاته دون أن يراه .

دعا السلطان العلماء إلى مجلسه ، وكان على رأسهم العالم الروحاني الملا محسن الفيض .

بادر الملا محسن الرسول بقوله : أليس لدى سلطانكم عالم يبعث به إلينا ، فيرسل شخصاً عادياً مثلك لمناظرة علماء الأمة ؟ .

---

(١) سورة الأنبياء (٢١) : الآية ١٨ .

أجاب الرسول : ليس في مقدوركم الخلاص من ربقتي بهذا القول . خذو بأيديكم أي شيء وسأكشفه لكم .

تناول الملا محسن ـ خفية ـ سبحة مصنوعة من تربة سيد الشهداء (ع) وضم عليها يده .

غرق مبعوث الفرنجة في بحر من التفكير ، واستغرق في التأمل . فبادره المرحوم الفيض بقوله :

ما الأمر ؟ لعلك عجزت ؟! .

قال المبعوث : لا ، ليس العجز ، إنما حسب منطوق الطريقة أرى في يدك تراباً من الجنة . وما يحيّرني ويدعوني إلى التفكير هو : كيف وصل تراب الجنة إلى يدك ؟! .

قال الملا محسن : لقد نطقت بالحق ، ففي يدي فعلاً قطعة من تراب الجنة . وهذه السبحة هي من القبر المطهّر لابن بنت نبيّنا (ص) وهو إمام . وقد أخبرنا نبيّنا أن كربلاء (مدفن الحسين) قطعة من الجنة ؛ وقد اعترفت الآن بصدق قول نبيّنا ، ذلك أنك قلت بأن طرائقك لا تخطىء . إذاً ، فأنت تعترف أيضاً بصدق نبينا في ادّعائه للنبوّة ، إذ لا يعرف هذا الأمر غير الله تعالى ، ولم يبلغه أحداً من الخلق سوى لنبيّه . وعلاوة على ذلك فابن النبي (ص) مدفون فيها . ذلك أنه لو لم يكن نبيّاً حقاً فإن ابنه الذي هو من صلبه وتابع له في دينه لا يمكن أن يدفن في الجنة .

فما كان من النصراني ـ بعد أن شهد تلك الواقعة وسمع هذا القول القاطع ـ إلاّ أن دخل في الإسلام[1] .

---

(١) من كتاب (قصص عجيبة) للمؤلف ص ١٤٤ ـ ١٥٠ .

الغيرة والنهي العملي عن المنكر

المؤمنون غيورون . وغيرة المؤمنين حالت دون انحسار آثار الحجاب بالكامل . إن رغب أحدهم أن يتخذ له زوجة ، أو أراد أن يخطب لابنه أو أحد أقاربه ، فإنه يوصي بأن تكون الفتاة من ذوات الحجاب ، وعائلتها كذلك . يقول : أريد فتاة لم تظهر على غير محرم .

إنها ظاهرة تفرح القلب ، وهي في حد ذاتها شكل من أشكال النهي العمليّ عن المنكر . لأنه إن كثر الأفراد من هذا القبيل فإن المجتمع يحسب حسابهم ، فيمتنع فلان ـ الأحمق مثلاً ـ عن إرسال ابنته إلى المدرسة سافرة . صحيح أن هذه الأمور جانبية ، غير أن ما في القلب من عقد يجب البوح به[1] .

القيام للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

حين عزم الإمام الحسين (ع) على الخروج من مكة مع أهل بيته ، أعلن بصراحة في خطبة له ، في اليوم الثامن من ذي الحجة أنه إنما قام ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولم يقم لهوس في نفسه ، أو لفتنة يثيرها ، وكان نهجه (ع) نهج جدّه[2] وأبيه : يدعو المسلمين إلى التقوى ، ويحثّهم ويحذّرهم : لا تطلبو الأولوية والرجحان في الأرض . أو بتعبير القرآن المجيد : لا تطلبوا العلوّ في الأرض[3] . لا تدَعوا حكومة يزيد تهوي بكم في حبائل الطمع والخداع ، لا تعبدوا البشر ، فالله أحق بالعبادة . والدنيا مصيرها

---

(١) من كتاب (سيد الشهداء) ص ٦٦ .

(٢) « . . إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ، ولا مفسداً ولا ظالماً ، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي . أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر » .

(٣) ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للمتّقين ﴾ .
سورة القصص (٢٨) : الآية ٨٣ .

الزوال ، فعلامَ هذا الحرص وهذه الغفلة ؟ وإلامَ سيطول البقاء ؟! .

الحسين (ع) يأمر بالمعروف في يوم عاشوراء

ليس الأمر بالمعروف قولاً فحسب ، إنه الأمر بالفعل كذلك ، وأي معروف أسمى من الصلاة ؟ .

سمعتم أن أبا ثمامة ـ حين حلّ ظهر عاشوراء ـ قال للحسين (ع) يا أبا عبد الله ، لم يبق من العمر ما يذكر ، وها هو العدو يقترب ، إنه الزوال ، والجميع يرجون صلاة أخيرة معك . نظر الحسين (ع) إلى السماء ورأى أن الظهر قد حلّ ، فدعا الله أن يمكنه من أداء الصلاة . ثم أمر بالصلاة فأقيمت[1] .

« هل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان »

الآية الشريفة تتّسم بالشمول ، وليس فيها أي تخصيص على الإطلاق ، سواء أكان المحسن مؤمناً أم كافراً . وهي مصداق لمضمون رواية عن الإمام الصادق (ع) وهو : عليك أن تستجيب لمن بادرك بالمعروف فترد له معروفه ، كافراً كان أم مؤمناً ، إنما الفضل لمن قابل الإحسان بإحسان أكبر منه .

جاء وقت احتبس فيه المطر عن الكوفة . فلجأ أهلها إلى أمير المؤمنين (ع) يشكون ، فأمر ولده الحسين (ع) بأن يذهب ويدعو دعاء الاستسقاء ففعل ، وارتوى الجميع من الماء . فكيف كان الجزاء الذي كافأوه به لقاء إحسانه ؟ :

لقد منعه أهل الكوفة من الماء ، فلكم رعوا حرمة ضيف كربلاء !! .

---

(١) « أشهد أنك قد أقمت الصلاة » . من زيارة الحسين (ع) .

الشر لا يصدر عن مؤمن والخير لا يصدر عن كافر

لو طرح سؤال : بناء على هذا فإن الكافر لا يصدر عنه إلاَّ الشر ، والمؤمن لا يصدر عنه إلاَّ الخير ، في حين أننا نرى خيراً يصدر عن بعض أهل الكفر ، كما نرى شرّاً يصدر عن القليل من أهل الإيمان !! .

والإجابة عن هذا : هي أنه لا يصدر أبداً عن كافر خير حقيقي ؛ وما ذلك الذي يرى منه خيراً إلاَّ صورة عن الخير ليس إلاَّ . إنفاق المال وبذله مثلاً ، يكون خيراً حين يكون المال قد وصل عن طريق مشروع ، هذا أولاً . وثانياً أن يصرف في موارد يستحسنها العقل ويرضاها الشرع كمّاً وكيفاً ، كأن لا يكون هناك إسراف . وثالثاً أن يكون القصد من العمل هو الله ، أما إن كان الغرض زيادة في المال أو الشهرة أو مديح الناس ، فالحقيقة أنه يغدو صفقة وليس خيراً .

والكافر الذي يبذل المال أو يبني مستشفى أو يؤسس مصنعاً . فعمله فاقد للشروط الثلاثة جميعها أو لواحد منها ـ حتماً ـ على الأقل .

مثلاً : رأينا البرامكة يملأون خزائنهم من أموال المسلمين ومن بيت المال ، وبعدها يمنحون شاعراً قال قصيدة بمدحهم مئة وعشرين ألف دينار ، مما يساعدهم على تثبيت مناصبهم الوزارية . فهل نستطيع أن نعدّ هذا الإنفاق عملاً حسناً ؟![1] .

وأما الشر الذي يرى من المؤمن فليس بشرّ حقيقي ، أي أنه لم يصدر عن إنكارٍ لله ولحساب يوم الجزاء ، إنما يكون قد صدر اتِّفاقاً وعن غلبة للهوى والهوس ووسوسة الشيطان ؛ كما أن إيمانه يجعله شديد الندم على

(١) لا يصح القول : إن الذي يصدر عنه عمل بصورة الخير لا يعود كافراً ؛ ذلك لأن الله يزيد في ماله من فضله ، أو يبعد عنه البلاء ، أو يخفف عنه العذاب في الآخرة . والخلاصة أن عمله لا يبقى دون ثواب . كما ورد بخصوص (حاتم الطائي) المشهور بكرمه ، فإنه سيكون من أهل جهنم ، غير أنه لن يحترق .

تصرفه ، ويدفعه إلى تلافيه وتداركه ، أما لو صدر عنه الشر فلم يشعر بانزعاج من فعلته ، ولم يحسّ بالندم الذي يدفعه إلى التلافي والتدارك ، فيُعرف إذ ذاك أنه إنسان لم يسكن الإيمان قلبه بعد ، وإنما ينطق به لسانه فحسب .

قال تعالى في سورة الحجرات : **﴿ قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾**[1] .

تمرين على عبادة الواحد الأحد في القول والعمل

لعلّ الحكمة في النهي عن القسم بالمخلوق أنها تمرين لأهل التوحيد على أن يراقبوا أقوالهم وأعمالهم ، وأن يحذروا من أي قول أو عمل تشتمّ منه رائحة الشرك ، حتى تكون لهم في مقام التوحيد قدم ثابتة .

كما أنها لتأكيد وتثبيت التوحيد في طلب الاستعانة ، فقد ورد النهي عن طلب شيء من المخلوق إلاّ عند الضرورة .

يقول المحقق الأردبيلي : من المسلّم به أن سؤال غير الله مبغوض عقلاً وشرعاً . ويروى أن جماعة من أصحاب رسول الله (ص) طلبوا منه أن يضمن لهم دخول الجنة ، فأجابهم بأنه يضمن لهم الجنة شريطة أن لا يسألوا غير الله أحداً ، فقبلوا واستجابوا ، فكان أحدهم إذا اتّفق له أن كان ممتطياً دابّته ، ووقع السوط من يده ، فلا يطلب من أحد المشاة أن يلتقطه له ، بل كان يترجّل بنفسه ويلتقط السوط ، ثم يعاود الركوب . وكانوا إذا أحسّوا بالعطش لا يسألون من كان قريباً من الماء أن يسقيهم ، بل يذهبون للشرب بأنفسهم[2] .

والخلاصة أن مكروهية سؤال المخلوق شاملة ، إلاّ عند الضرورة ،

---

(١) من كتاب (القلب السليم) ص ٤٥ .
سورة الحجرات (٤٩) : الآية ١٤ .
(٢) من كتاب (زبدة البيان) ص ٦ .

وذلك لإحكام أساس التوحيد ، وعبادة الواحد الأحد ، الذي هو الطريق الأوحد للسعادة والمنزلة الإنسانية .

لا تخافوا - في سبيل الله - من لوم اللائمين

يروي جابر عن الإمام الباقر (ع) قوله : « حاربوا المنكرات بقلوبكم وأنكروها بألسنتكم ، ولتظهر آثار ذلك على وجوهكم ، لا تخافوا في سبيل الله من لوم اللائمين ، فإن اتّعظوا ورجعوا إلى الحق فلا عيب في ذلك ، إنما العيب خصوصاً على الذين يظلمون الآخرين ، ويتظاهرون بالعداوة والفساد في الأرض بغير حق ، وقد أعد لهم عذاب أليم ، خالفوهم وأضمروا العداء لهم في قلوبكم ، ولا يشغلكم عن ذلك تفكير برئاسة أو طلب لثروة أو قصد لظلم ، فإنما الفوز بقدر مواجهة الأعداء حتى يسلموا ويعملوا بأحكام الله خالقكم » . (فيصبحوا مسلمين ، ويتجلى بهاء الإسلام) .

و . . هؤلاء أموات متحركون

على المسلم أن يظهر نفوره وإنكاره لعمل السوء بقلبه ولسانه ويده . وللإنكار باللسان واليد مراتب ، تتدرج من اللين إلى الشدة ، حتى يصل الأمر - كما يعتقد البعض - إلى وجوب قتل فاعل المنكر . وهذه هي المرحلة الأخيرة من الإنكار .

يقول أمير المؤمنين (ع) في وصف الناهين عن المنكر :

« فمنهم المنكر للمنكر بقلبه ولسانه ويده ، وذلك المستكمل لخصال الخير ؛ ومنهم المنكر بلسانه وقلبه التارك بيده ، فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ، ومضيّع خصلة ؛ ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه ، فذلك الذي ضيّع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسّك بواحدة ؛ ومنهم تارك

لإنكار المنكر بلسانه وقلبه ويده ، فذلك ميت بين الأحياء »[1] .

إن جميع أعمال الخير والجهاد في سبيل الله ـ في محاذاة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ أشبه بلعاب الفم وقد اختلط بماء البحر . الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقرّبان أجلاً ولا ينقصان رزقاً . وأفضلهما المطالبة بالعدالة الإلهية أمام شخص جائر .

عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه يقول : كنا يوماً نواجه أهل الشام فسمعت علياً (ع) يقول :

« أيها الناس ... من رأى منكم ظالماً يظلم الناس ، ويدعوهم إلى المنكر ، فأنكر ذلك بقلبه فقد سلم من الظلم والإثم ؛ ومن أنكر بلسانه فله جزاء عمله ، وهو أفضل ؛ أما من (لديه القدرة) فوقف في وجه الظالم بقوة صوناً لأحكام الله وتسفيهاً لأقوال الظالمين فقد سلك سبيل الهداية ، واستقر على الطريق المستقيم ، وأضاء نور اليقين قلبه » .

أجل ، فمن لم تكن لديه القدرة على مواجهة المنكر ، ونفر منه في قلبه فقد سلم من المعصية ، ولم يتلوث بالإثم .

مراعاة التوحيد في القول والعمل

على المرء أن يراقب أقواله وأعماله كي لا ينحرف عن جادة التوحيد المستقيمة . أي : عليه أن يتجنب كل ما تُشتمّ منه رائحة استقلاليته ، أو استقلالية أي سبب آخر ، بمعزل عن ربوبية الخالق سبحانه .

فمثلاً : إن صدر عنه إحسان فعليه أن لا يفخر بنفسه ، وليعرف أن الخير والإحسان من الله ، وليس له أن يمنّ به على أحد . وليدرك أنه الواسطة والوسيلة للخير من الله .

---

(١) وسائل الشيعة ـ الأمر بالمعروف ـ باب ٣ .

كذلك لو ناله خير من أحد ، فعليه ألا يتملّقه ، بل ليشكر الله على أن هيأ السبب الذي ناله الخير بواسطته ، مع اعترافه بمعروف هذا السبب .

كذلك لو نزل به شر من أحدهم ، أو أصاب هو أحداً بشر فليعلم أن ذلك بسبب الخذلان الإلهي ، وليحذر ما يجعله مستحقاً لهذا الخذلان ، وليلتجىء إلى الله يسأله رفع الشر وإصلاح الحال . أي ليتجنب ادّعاء الاستقلالية في أي موقع ، كأن يقول : أنا فعلت كذا ، أو سأفعل كذا ، أو لو لم تكن لي يد في هذا الأمر لحدث كذا وكذلك ، أو أن يقول : لقد حققت الثروة لفلان وهيأت له النجاة . . إلى أمثال ذلك من ادّعاءات مقام الربوبية . والقرآن المجيد يقول : ﴿ ولا تقولنّ لشيء إنّي فاعل ذلك غداً * إلاّ أن يشاء الله ﴾[1] .

لماذا ورد النهي عن التفكّر بالذات الإلهية

كل ما ذكر من أن الإيمان بالله ومعرفته أمر يعود للفطرة ، فالمراد منه حصول اليقين بأن الخالق سبحانه كلٌّ واحد عالم قادر ، أما معرفة ذات الله وحقيقته فأمر خارج عن عهدة البشر وسائر المخلوقات ، بل إن من المحال على المخلوق أن يلمّ بذات الخالق . ذلك لأن معنى معرفة الذات الإلهية هو الإحاطة به سبحانه ، ومن المحال أن يتوصّل مخلوق إلى الإحاطة بالخالق ، بل الخالق هو المحيط بكل شيء[2] .

ومن هنا فقد أتى في الشرع المقدس النهي عن التفكّر في ذات الله ، في حين أوجب علينا التفكّر في أفعاله ونعمه ، مما يؤدي إلى معرفته جلّ جلاله .

---

(١) سورة الكهف (١٨) : الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .
من كتاب (القلب السليم)ص ١١٦ .
(٢) ﴿ ألا إنّه بكلّ شيء محيط ﴾ سورة فصّلت (٤١) : الآية ٥٤ .

وعن الإمام الباقر (ع) : « تكلّموا في خلق الله ولا تتكلّموا في الله ؛ فإن الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلاّ تحيّراً »(١) .

وعن الإمام الصادق (ع) : « من نظر في الله كيف هو ؟ هلك »(٢) .

كم من أناس أعملوا الفكر ليتوصلوا إلى معرفة هذا الأمر المحال ، وهو معرفة حقيقة وذات الخالق ! وإذ لم يتوصّلوا إلى شيء فقد وقعوا في الشك ، بل مالوا إلى الإلحاد ، أي أنهم قالوا : حيث إننا لم نتوصل إلى معرفة ذات الله . . إذاً ، فهو أصلاً غير موجود !! .

هلَ يصحّ إنكار وجوْد شيء لم يُعرف ؟

يجب القول لأولئك :

أولاً : إن تفكّركم بذات الله غلطٌ وطلب للمحال ، لأن المخلوق لا يمكن أبداً أن يحيط بالخالق .

وثانياً : إن كنتم لم تتوصلوا إلى معرفة ذات الحق ، فكيف تنكرونه ؟! في حين أن الكثير من الموجودات لم تُدرك ذاته ولا حقيقته ، ومع هذا فأنتم لا تنكرونه . حقيقة النور ـ مثلاً ـ لم تعرف حتى الآن ، وحقيقة الأمواج لم تعرف كذلك ، وكيفيّة الرؤية ، والقوة العاقلة ، وسائر القوى الباطنية ، كلها تم قبولها والتصديق بها دون أي معلومة عن حقيقتها !! .

وعليه . . فلو قال لك أحدهم : أنت أيها الإنسان الذي لا يمتلك فهماً ولا يمتلك عقلاً ! لأحسست بالانزعاج ولقلت : وكيف لا أمتلك عقلاً ؟! فإن أجاب : ذلك لأني لم أعرف حقيقة العقل . (أي أنه لم يعرف حقيقة العقل فأنكر وجود العقل لديك) فهل تقتنع بهذه الإجابة ؟!(٣) .

---

(١) أصول الكافي : كتاب التوحيد ـ باب النهي عن الكلام في الكيفية .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) من كتاب (القلب السليم) ص ١٦٣ .

ذكر الله عند عملٍ واجب أو ترك محرم

من الموارد التي يتوجب فيها على المرء ذكر الله ، وقتٌ يقوم فيـه بعمل واجب أو يمتنع عن محرم . فعليه أن يذكـر الله إن أتىٰ واجباً أو تـرك محرمـاً ، مثلاً : عليه الصيام في شهر رمضان ، وأن يؤدي فريضـة الحج في مـوسمه إن توفرت لديه شرائط الوجوب ، وأن يبادر من فـوره إلى أداء الخمس والزكـاة إن توجّبا عليه في رأس سنته ، وإذا نزل به بلاء فعليه أن يذكر الله في صبـره على البلاء ، وأن يدخل السكينة إلى قلبه بالأمل في نواله الجزاء على صبـره ، وإذا اتفق لـه عمل مستحب فليقم بـه وليذكـر الله ما وسعـه ، عليـه مثـلاً أن يبـادر بالسّلام على من يلقاه من المسلمين ، وإن بادروه هم بالسلام فعليـه ـ حتماً ـ أن يرد السلام ، كذلك الأمـر في صلة الرحم ، فـإن بدر منـه ما يعـدّ عرفـاً قطعـاً للرحم ، أصبح الوصل واجباً . مثلاً : مريض تجب عيـادته ، أو بـائس يجب رفـع البؤس عنه . أمـا في غيـر ذلـك فصلة الـرحم أمـر مستحب يجـدر عـدم التساهل فيه .

كـذلك الأمـر في الابتلاء بـالحرام ، فعليـه تركـه وعدم الغفلة عن ذكـر الله . أمـا المكروهـات فيجدر عـدم التساهـل فيها قـدر الإمكان ، وتـركها من ثم . مثـلاً : إنّ عليـه ـ إن لاح لـه مشهـد محـرّم ـ أن يـذكـر الله ويغض عنـه طرفه . وإن صدر صوت محرم ـ كالغناء ـ فعليه أن يصرف عنه سمعـه ، أو أن يفرّ منه . والمال الحرام عليه ألا يقربه . حتى الكلمة الحـرام عليه أن يصـون عنها لسانه .

والخلاصة : على المـرء في كل الحـالات أن لا ينسى الله تعالى ، أي عليه التسليم والطاعة .

وهـذا هو المـراد من « الـذكـر الكثيـر » الـذي تكـرر وروده في القـرآن المجيد : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ﴾[1] .

---

(١) سورة الأحزاب (٣٣) : الآية ٤١ .

كما أمر بذلك أمير المؤمنين (ع) في روايات له عديدة .

أفضل الأعمال وأصعب الأعمال

عن الإمام الصادق (ع) في رواية له : « أن أفضل الأعمال ثلاثة ، وفي رواية أخرى : أن أصعب الأعمال التي أمر الله بها عباده ثلاثة . وبناء على رواية ثالثة : أن المؤمن لا يمتحن بأشدّ من أمور ثلاثة » .

قال (ع) : « سيّد الأعمال ثلاثة : إنصاف الناس من نفسك ، حتى لا ترضى بشيء إلاّ رضيت لهم مثله ؛ ومؤاساتك الأخ في المال ؛ وذكر الله على كل حال : ليس سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر فقط ، ولكن إذا ورد عليك شيء أمر الله به ، أخذت به ؛ وإذا ورد عليك شيء نهى الله ـ عز وجل ـ عنه ، تركته »[1] .

خمسة أمور يجب الابتعاد عنها

قال رسول الله (ص) : « خمسٌ تقسّي القلوب ، قيل : وما هنّ يا رسول الله ؟ قال : ترادف الذنب على الذنب ، ومجاراة الأحمق ، وكثرة منافسة النساء ، وطول ملازمة المنزل على سبيل الانفراد والوحدة ، والجلوس مع الموتى ، قيل : وما الموتى ؟ قال : كل عبد مترف فهو ميت ، وكل من لا يعمل لآخرته فهو ميت »[2] .

« حيّ وميّت بآنٍ لست تعرفه   من ليس في ذكره لله مشغولاً »[3]

---

(١) أصول الكافي : كتاب الإيمان والكفر ـ باب الإنصاف والعدل . (عن كتاب القلب السليم) ص ٢٠٢ .

(٢) عن كتاب (دار السلام) للنوزي : ص ٦٣ .

(٣) هذه ترجمة للمعرب لبيت من الشعر بالفارسية وهو :

زنده دلا مرده ندانى كه كيست   آنكه ندارد به خدا اشتغال

قال (ص) لأمير المؤمنين (ع) يوصيه : « ثلاثة يقسّين القلب : استماع اللهو ، وطلب الصيد ، وإتيان باب السلطان »[1] .

لا طاعة في الأمر بالحرام وفي النهي عن الواجب

عليك أن تعلم ـ ضمناً ـ أن أوامر الوالدين ونواهيهما ليست ـ كلها ـ واجبة الطاعة . بل إطاعتها مشروطة بعدم كونها أمراً بمحرّم أو نهياً عن واجب ، ففي تلك الحال تكون إطاعة الله ورسوله هي الأولى ، وذلك بصريح قول القرآن المجيد : ﴿ **وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا نطعهما** ﴾[2] .

والقدر المسلّم من وجوب إطاعتهما هو في حال ما إذا كان عصيانهما مدعاة لأذيّتهما وعدم رضاهما فحسب ، لأن إيذاءهما حرام بنص القرآن الكريم ؛ فإذا أمرا بشيء أو نهيا عن آخر ، فأوجبت مخالفتهما إيذاءهما ، وجبت ـ إذ ذاك ـ إطاعتهما[3] .

« الورع عن محارم الله »

في خطبة الجمعة من آخر شهر شعبان ، كان رسول الله (ص) يتحدّث منوّهاً بفضل شهر رمضان . فسمع أمير المؤمنين (ع) يقول من تحت المنبر : « يا رسول الله ، أيّ الأعمال أفضل » ؟ (أي ما هو أفضل الأعمال في شهر رمضان ؟) قال رسول الله (ص) : « الورع عن محارم الله » .

نعم ، فالورع عن الحرام حق ، وتلاوة القرآن كذلك تثمر السعادة ، ففي تلاوة كل آية في هذا الشهر ثواب ختم القرآن ؛ وفي صلاة النافلة في هذا

---

(١) في (الفقيه) عن كتاب (القلب السليم) ص ٢٣٨ .
(٢) سورة العنكبوت (٢٩) : الآية ٨ .
(٣) عن كتاب (الذنوب الكبيرة) ج ١ ص ١٤٨ ـ ط الدار الإسلامية .

الشهر ثواب صلاة واجبة ؛ وكل صلاة واجبة فيه تعدل ثواب سبعين صلاة في وقت آخر ، إنما بشرط الورع عن محارم الله .

الطبيب يصف لك العلاج ، لأن التداوي حسن ، شريطة أن ترافقه الحماية والاحتراز .

يقول أحد الأصحاب : كنت في المستشفى ، وكان إلى جواري مريض آخر ، وكانت أوامر الطبيب للممرض تقضي بأن لا يعطى الماء للمريض حتى الغد ، مهما شكا من العطش ، لأن الماء يضرّه . قال الطبيب هذا وغادر .

وبدأ المريض يشكو العطش بإلحاح ، لكن الممرّض المناوب رفض الاستجابة له . شكا المريض وبكى ، فلم يلتفت إليه ، وهكذا حتى انتهت فترة مناوبة الممرّض وغادر بدوره ، دون أن يخبر زميله الذي حلّ محلّه أن الماء ممنوع عن المريض .

وهنا صرخ المريض بأنه يكاد يموت من العطش . فما كان من الممرض الجديد إلاّ أن ذهب وأحضر كوباً من الماء وضعه إلى جانبه .

يقول الراوي : شرب المريض الماء ، فعاوده الهدوء ولم يعد يسمع له صوت . ولما حضر الطبيب في الصباح وجد مريضه ميتاً ، فضرب كفّاً بكف وقال : لماذا أعطيتموه الماء ؟! .

فالعلاج إذاً دون حماية لا فائدة منه .

لتواظب على الصيام في شهر رمضان ، شرط أن تتورّع ، شرط أن تصون لسانك عن الغيبة . قل يا ربّ ساعدني كي أصون لساني عن الكذب والغيبة وقول الفحش ، والقول بغير علم ، وكشف السر ، ورجم الناس بالعيب . فاجتناب كل هذا واجب .

أيّها الصائم ، حافظ على صيامك ، وصن عينيك عن النظر إلى

الحرام . حافظ على صيامك ، شريطة أن لا يكون أول طعام يدخل إلى معدتك حراماً . ولا تسرف في الأكل . الورع يعني الصبر عن المعصية ، والتداوي بدواء الطبّ الإلهي الذي يداويك به صيام شهر رمضان ، فتغدو روحانياً فتشفى . وتكتشف في النهاية لذّة ذكر الله ، وإذ ذاك تدرك معنى « يا من ذكره شرف للذاكرين » ، وتفهم حينئذٍ لذّة دعاء أبي حمزة الثمالي بنفسك ، وشيئاً فشيئاً تصحو وتقول : عجباً ، كم أنا جاحد ! فكم تلطّف المولى الكريم وأرشدني ودلّني على الطريق، وقال لي : إن أحسست بالعجز والعوز فتعالى إليّ أقدم لك العون والمساعدة . وإذا أراد الشيطان أن يدفعك إلى الحرام فاستغث بي حتى آخذ بيدك[1] ؛ ولتكن إذا طرأ عليك طارىء من حرام ، كيوسف إذ قال : يا الله[2] ! فبثّ الله في قلبه القوة ، فكان قلبه حاكمه ، لا نفسه وهواه ؛ وخرج من الباب عفيفاً طاهر الذيل . والله سبحانه لا يريد أن يقصّ عليكم قصّة ، إنما يريد أن يقول : أيتها المرأة المسلمة ، وأيها الرجل المسلم : إن خطرت لكما المعصية فتعاليا إليّ ، وتمسّكا بلطفي ، وقولا : يا الله ! .

لو أن (ابن سعد) ـ في تلك الليلة حيث وقع في الحيرة بين الأمرين ـ قصد باب الرحمن وقال بصدق وإخلاص : يا ربّ ، أسألك الهداية ، أو قال : هبني النجاة يا رب ، لما تركه يهوي في كربلاء . فقد وعد الله كل من يتجه بوجهه إليه أن يكون عوناً له : « يا معين من استعان به » . فلو سألنا الله العون ـ مهما واجهتنا الذنوب ـ لمنع عنّا التلوّث والسقوط .

والآن . . فما العمل ؟ .

علينا الآن أن نمدّ ـ في أوقات السحر ـ يد الفاقة والرجاء ونقول :

« إلهي ، لا تؤدّبني بعقوبتك ، ولا تمكر بي في حيلتك » .

---

(١) ﴿ وإمّا ينزغنّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ﴾ سورة الأعراف (٧) : الآية ٢٠٠ .

(٢) ﴿ ولقد همّت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربّه ﴾ سورة يوسف (١٢) : الآية ٢٤ .

فلكم أسأت الأدب ، ولكم عملت بعكس ما يفرضه الواجب .

وعلى العبد ـ عند الضعف والعجز ـ أن يلجأ إلى مولاه .

« إلى من يذهب العبد إلاّ إلى مولاه » ؟ .

غير أني بلا حياء ، ففي حين كان عليّ التوجه إليك ، وطلب العون منك ، غفلت عن النظر إليك ، وعليّ أن أتأدّب ، أمّا إن قضت مشيئتك أن تؤدبني ، إذاً لهلكت ، وليس لي من طاقة ، فأسألك بحرمة شهر رمضان أن تطهّرني من سوء أدبي وقلّة حيائي ـ الذي قارفته طيلة أحد عشر شهراً ـ في هذا الشهر العزيز عليك .

قال رسول الله (ص) : « بعد كلّ صلاة ، ارفعوا أيديكم بالدعاء ، واعرفوا قدر الوقت الذي يستجاب فيه الدعاء » .

أسألك بعزّتك وجلالك أن تمحو بقلم عفوك كل ما عملته مما فيه تنكّر للعبودية لك ، يا ربِّ ! قد أفلح من تعامل معك بصدق وإخلاص ، وعاقبته إلى خير ، أما التعامل مع الشيطان ، ومع النفس والهوى فلن يثمر ـ يقيناً ـ سوى الويل والضرر والحسرة ، ولن يعقبه سوى الندم .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طريق الأنبياء والصالحين

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء والصالحين ، وهما واجبان على قدر كبير من الأهمية ، فبهما تصان الواجبات وتستمر ، فتغدو الأديان بأمان ، وتزدهر الأعمال ، وتستردّ الحقوق ، وتعمر الأرض ، ويبوء الأعداء بالخسران ، وينبسط الطريق أمام الإسلام .

من يعمل طبقاً لأحكام دينه ، لكنّه لا يجهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهو شخص مخلص ، لكنه يصبح في المجتمع كلا شيء ، لأنه ترك واجباً كبيراً هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والصغار إنما يهلكون بتخلّي كبارهم عن الواجب وقياساً على ذلك فإن من يعتريه الشك بأن « النـار إن شبّت أتت على الأخضر واليـابس » ، يخطىء إذ يتوهم أن هذا الأمر منافٍ للعدالة الإلهية .

عبد السلام بن صالح سأل الإمام الرضا (ع) : لماذا أغرق الله جميع الناس أيام النبي نوح (ع) ، في حين كان بينهم أطفال لم يقترفوا ذنباً ؟! .

قال (ع) : لم يكن للأطفال وجود في قوم نوح ، لأن الله عز وجل ابتلى رجال ذلك العصر ونساءه بالعقم ، واستمر هذا المرض فيهم أربعين سنة ، لذا فلم يكن بينهم أطفال حين تم إغراقهم ، وجلّ الله عن أن يعذّب الأبرياء ، وعلى هذا جرت سنّته . وباستثناء أهله ، فإن الذين عصوا نبيّ الله وكذّبوه ، والذين رضوا بتكذيب الآخرين له ، كانوا من المغرقين ، لأن من رضي بالتنازل عن واجبه ، كان كمن شهد الواجب وتركه .

موعظة عجيبة وصحّتها كاملة

كان يحيى بن معاذ الرازي معروفاً بعلمه وحسن مواعظه ، فرغب إليه هرون الرشيد أن ينصحه ، فقدّم إليه موعظة رائعة .

قال يحيى : لو حدث أيها الأمير أن سُدّ مجرى المريء لديك ، وتعذّر مرور الماء والطعام منه ، واشتدت عليك وطأة العطش ، فماذا تراك فاعلاً ؟ .

قال : أهب نصف ما أملكه ، لقاء فتحه ! .

قال يحيى : وإن سدّ مخرجك ، فماذا أنت فاعل ؟

قال : أهب النصف الآخر ، ليغاد فتحه وأرتاح !

فقال يحيى : الآن عرفت قدر ملكك أيها الأمير ، فهو لا يعدو قيمة قطرة من الماء ، تدخل وتخرج !! .

البول مادة مؤذية خبيثة ، تفيض عن عملية الهضم . وهذا البول ـ لمّا

صار جزءاً من البدن ـ يدعى بـالتسمية الحـرفية « سمّ المـاء » وهم سمّ فعلاً . فهل تعدّ نعمةً بسيطةً ، لو خرج هذا السم من البدن بيسر وسهولة ؟![1] .

عن الإمـام (ع) : « لا تنس الله ، حتى في الخـلاء ، فـإذا قمت فمـرّر يدك على بطنك وقل[2] : الحمد لله الذي جعل الطيّب من هـذا الطعـام جزءاً من بدني ، وطرد عنّي خبيثه .

لو عجزت أي وسيلة عن إخراجه ـ لا سمح الله ـ فالله لن ينساك لو غـدا ذكره ملكةً لديك .

وإليك هذه البشارة :

تقرأ الكتب في القيامة باسم الله

وعنه (ع) : غداً في يوم القيامـة ، يعطى المؤمن كتـابه بيـده . ألا يقول القرآن المجيد إن على كل فرد أن يقرأ كتابه بنفسه وهي الحسيب عليه ؟[3] .

فالمؤمن يعطى كتاب عمله بيده ، ويقال له : اقرأ. فإذا كان هذا المؤمن معتـاداً على ذكر الله في الـدنيا ، فكـان يمشي بذكـر الله ، ويقعد بـذكر الله ، وينام ويقوم بذكر الله[4] ، فهو يوم القيـامة ـ بـرسوخ هـذه الملكة لـديه ـ يقـرأ كتـاب أعمـالـه ، وعـلى حسـب هـذه الملكـة يقـول : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ .

ويرى أن جميع معاصيه التي ملأت صفحة السيئات قد محيت ، فيقـول في نفسه : لعلّ الباري قد (أخطأ) ، فأنا أعلم أني ارتكبت ذنوبـاً ، لكني لا

---

(١) « الحمد لله الذي أطعمنيه طيّباً في عافية ، وأخرجه عنّي خبيثاً في عافية . يا لهـا نعمة ! يـا لها نعمة لا يقدّر القادرون قدرها » : (دعاء يقال عند التخلّي) .

(٢) « الحمد لله الذي أماط عني الأذى . . . وعافاني من البلوى » (من آداب بيت الخلاء) .

(٣) ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ سورة الإسراء (١٧) : الآية ١٤ .

(٤) ﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ﴾ سورة آل عمران (٣) : الآية ١٩١ .

أرى لهـذه الذنـوب أثـراً في كتـابي ! فيـأتي النـداء : أي عبـدي . . دعـوتني بالرحمن الرحيم ، فكيف أترك تلك الذنوب في كتابك ؟! يا الله ! .

أقول علاوة عن هذا أن المؤمن إذا أراد اجتياز الصراط ، قال طبقـاً لهذه الملكة عنده : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ فإن النار تفرّ منه .

يا ربّ ! هبنا أنت التوفيق إلى ذكرك حتى لا ننسى وحـدانيتك ، فـأنت ـ في كل حال ـ حاضر ناظر متجلٍّ بلطفك .

حذار من الغفلة عن نعم الله ، فهو كريم ولن ينساك ساعة انحدارك إلى قبرك ، ساعة الموت ، في غمـرة أهوال ليس بمقـدور إنسان أو أي مخلوق أن يدفعها عنك .

زيارة الحسين (ع) ليلة الجمعة

الليلة هي ليلة الجمعة ، فلا يفوتنّك أن تقوم بعمل صـالح آخـر ، ذلك هو زيارة الحسين (ع) .

ففي الـرواية أن الإمـام (ع) سئل : مـع كل مـا لزيـارة الحسين (ع) من فضـائل ، فمـاذا يفعل أولئـك المحـرومـون البعيـدون عن الـوصـول إلى قبـر الحسين (ع) ؟ فهل لهم من شيء ؟ .

قال الصادق (ع) : « تقف تحت السماء متوجّهـاً إلى قبر الحسين (ع) ، وتشيـر بيدك نحـوه ثلاث مـرات وتقول : « صلى الله عليـك يا أبـا عبـد الله ، ورحمة الله وبركاته » ثم تضيف على نية الشهداء قـائلاً : « وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك ، السلام على الحسين وعلى عليّ بن الحسين »[1] .

---

(١) من كتاب (معارف من القرآن) : ص ٤١ ـ ٤٣ .

ثلاث نعم روحانية أعلى من نِعم الجنة

في رواية في بحار الأنوار عن الإمام علي (ع) أنه قال : في الجنة ثلاث من النعم الفردوسية ، وهي أعلى من نِعم الجنة جميعها :

النعمة الأولى : من النعم الروحانية التي توهب للمؤمن هي أنه يتّصل من منزلته هناك بمنازل محمد وآله صلوات الله عليهم ، حتى أن شجرة (طوبى) والتي أصلها في بيت علي (ع) تمتد منها فروع إلى منازل المؤمنين .

النعمة الثانية : « رضوان من الله أكبر » إذ يرتفع النداء : « رضي الله عنكم » : أيها المؤمنون ، إن الله راضٍ عنكم . فتستبشر لهذا قلوبهم ، لأن ما يفوق نعم الجنة كلها إنما هو العمل الذي يصل بصاحبه إلى حدّ يرضى فيه العبد عن خالقه ، ويرضى الخالق عنه كذلك[٢] ، والمرء لا يدرك أي مقام هو مقام الرضى ، وأي فردوس هو ، ما لم يصل إليه . ولن يبلغ التصور شيئاً يعلوه .

النعمة الثالثة : يقول عنها (ع) : بعد أن يستقرّ أهل الجنة في جنّتهم ، وأهل جهنّم في جهنّمهم ، يبادر ملائكة الرحمن فيأتون بخروف أبلق (يخالط بياضه السواد) ، يمثلون به (الفناء) . والفناء طبعاً أمر معنوي يصورونه بهذه الصورة بين الجنة والنار ، ويذبحونه هناك أمام ناظري أهلهما[١] . والمعنى المقصود هو أن يطمئن أهل الجنة إلى أن النعم التي يرفلون بها في الجنة لن تنقضي ، ولن يسلبها منهم أحد ، فهل من لذّة تفضل هذه اللذة ؟ .

لماذا لا يعير العقلاء اهتماماً للدنيا وما فيها ؟ أليس لأنها كلها مشوبة بالفناء ؟ إن أعظم بشارة لأهل الجنة وأقسى خبر لأهل النار هو : فناء

---

(١) ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه . ذلك لمن خشي ربّه ﴾ سورة البيّنة (٩٨) : الآية ٨ .

(٢) كناية عن أن الفناء قد تم القضاء عليه ، وفي القضاء على الفناء تكريس للخلود والبقاء . (المعرب) .

الفناء[1] . « ذلك هو الفوز العظيم » .

والله ! لو بذلتَ كل ما تملك ـ بالغاً ما بلغ ـ في سبيل الله وسبيل جنته ، فهو لا شيء . فالمال والمقام الدنيويان إلى زوال ، وطوبى لمن نال مقاماً هناك ، في جنة النعيم . والفوز العظيم لمن بلغ الخالد الباقي ، الشيء الذي لا يفنى ، ألا وهو الجنة .

وحيث وصل بنا الكلام إلى هنا ، فإني أعرض حديثاً يناسب المقام :

فضائل علي (ع) وكفّارة ذنوب العاصين

ورد في رواية أنَّ من استمع إلى ذكر فضيلة من فضائل علي (ع) ، كانت له كفّارة عمّا استمع إليه من الحرام ؛ ومن كتب عن فضيلة من فضائل علي (ع) ، كتبت له حسنة تدوم ما دامت تلك الكتابة . فهل هناك من (صفقة) مثمرة كهذه ؟[2] « ذلك هو الفوز العظيم » .

ليلة القدر وسلوى العصاة التائبين

في ليلة القدر ـ وحتى أذان الصبح ـ تتنقّل الملائكة بصورة متواصلة بين السماء والأرض[3] ، وهذه من الحقائق التي تنطوي على أسرار . وإحدى الحكم التي يؤذن بها هي أن ملائكة العالم العلويّ يتنزّلون إلى الأرض في ليلة القدر ، حيث الأمر الذي لا مثيل له في أي عالم آخر ، إنه رجع شكوى وتوجّع التائبين . وأنين الباكين عند أعتاب الرحمن لا تراه إلاّ فوق هذه الكرة الترابية ما دمت حيّاً ، إن كنت تعرف لعمرك قدراً .

---

(١) يحضرني بيت شعري يتحدث عن فناء الفناء ، وهو لأحد العرفاء :

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى ... فكان فناؤه عين البقاء

(المعرب)

(٢) (نهج الكرامة) للعلاّمة الحلّي .

(٣) ﴿ تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربّهم من كل أمر ﴾ سورة القدر (٩٧) : الآية ٤ .

كل نَفَسٍ من أنفاس عمرك جوهرة ، وذلك النفس هو دليلك إلى الله[1] .

إذا دخلت بيتك فتذكّر قبرك

شهر رمضان يتجه الآن إلى نهايته ، ولست أدري إن كانت أعمالكم قد قبلت أم لا . لا تشغلنّكم أنفسكم ، فكلّما طرحتم ما منعه الله جانباً ، كلما رأيتم كم هو الموت قريب .

فعن الإمام الصادق (ع)[2] : إذا دخلت منزلك ، ووضعت قدمك فيه ، فاذكر منزلك الأبدي ؛ اذكر وقتاً يضعون فيه قدمك في قبرك . أنت تتنقل ـ ها هنا ـ كيف تشاء ، أما هناك ، فالأمر ليس لك .

وعن الإمام (ع) : إذا دخلت منزلك فاذكر منزلة قبرك . (إذا التزم الإنسان هذا المعنى ، فأي نزاعٍ سيثيره مع زوجته في بيته ؟! فالنزاع والجدال كله إنما يصدر عن غفلته) .

وإذا خرجت من بيتك ، يقول الإمام . فتصوّر أنهم يخرجون بجنازتك . فاليوم تأتي بنفسك ، أمّا غداً فسيؤتى بك .

يا ربّ ، هب لنا العقل والإدراك قبل الموت .

ذكر الموت علاج لقسوة القلب

أجل ، إن ذكر الموت يشفي من قسوة القلب ، فيا من تخشى قسوة القلب ، اعرف أن العلاج الناجع هو تذكر الموت ، وقد كان بعض العظماء يقيمون لأنفسهم قبوراً في بيوتهم ، تكون دوماً أمام أعينهم .

---

(١) من كتاب (معارف القران) ص ٢٥٣ .

(٢) « إذا دخلت في بيتك ، فاذكر دخولك في قبرك » . مصباح الشريعة .

السيدة الجليلة (نفيسة) سلام الله عليها ، المدفونة في مصر ، هي سيدة علويّة يتصل نسبها الشريف بالحسن المجتبى (ع) .

وممّا كُتب عن أحوال هذه السيدة الجليلة، أنها كانت قد أعدّت قبرها، وكانت تذهب إليه كلّ يوم وتقرأ القرآن عنده . نفسي الفداء لذلك الإنسان الذي يتلو القرآن لنفسه بنفسه ، عند قبره .

ورد « في إسعاف الراغبين أنها كانت قد حفرت قبرها بيدها ، وصارت تنزل فيه وتصلي ؛ وقرأت فيه ستة آلاف ختمة »[1] .

فهل هناك امرأة مثلها في هذا العالم ، عالم الجور ؟! أجل ، هناك بعض النساء ممّن يمتزن شرفاً عن الرجال مئة مرة ، فأي رجل بلغ هذا الحد في ساحة الرجولة ؟! .

ما أرمي إليه هو : أنهم كانوا يعدّون قبورهم لليوم الذي ستضمهم فيه قبورهم .

مقتطفات من كتاب رحلات ابن بطوطة

يقول : بقيت في شيراز ثلاثة أيام كنت فيها نزيل المسجد الجامع العتيق . كان الناس يؤمون هذا المسجد للاعتكاف ، (وليس هذا محلّ شاهدي) .

يقول : بالقرب من المسجد الجامع في شيراز (يعود بناؤه إلى ما قبل ستّمئة أو سبعمئة عام) تقوم سوق لم أر مثيلاً لها إلاّ قرب المسجد الجامع الأموي ، والتي تسمّى (سوق الحميدية) ، كما لم أر سوقاً بهذا الجمال والعظمة في أي من البلدان التي زرتها ، ما عدا الشام في هذه السوق (لعلها سوق حاجي نفسها) وقعت عيني على دكان يجلس فيها شخص نوراني ، من

(١) سفينة البحار : ج ٢ ص ٦٠٤ .

أهل الصلاح والتقوى ، وكان يقرأ القرآن . دنوت منه وسلّمت عليه ، وجلست . فرحّب بي . قلت : ماذا تعمل هنا ؟ قال : عملي هو التجارة ، فإن لم يأتني مشترٍ قرأت القرآن . انظر : وأزاح بساطاً فرأيت تحته قبراً . قال : هذا قبري ، وأنا أجلس إلى جواره أقرأ القرآن لنفسي ؛ وقد جعلت قبري في دكاني كي لا أقع في حبائل الدنيا ، كما أني كتبت وصية أوصي بها بدفني في هذا القبر الذي أعددته بنفسي .

كل من زار قبرك ، وقرأ لك القرآن عنده فلن تعدل قراءته آية واحدة تقرأها أنت لنفسك ؛ وإن سورة واحدة تقرأها لنفسك ، لهي أفضل من ختم للقرآن يؤديه القرّاء[1] .

عليك مراقبة روحك فقط

والآن . . وحيث الأمر كذلك ، فروحك جوهرة أخرى تدير جسدك ، وتسيّر كل تلك الإدراكات والعوالم . راقب نفسك ، واجعل ذاتك منذ اليوم جميلة ، حتى تجد سبيلك غداً إلى أهل الجمال في عالم الوجود .

النساء ـ نوعاً ـ يمتزن برهافة الحسّ ، فأين هي المرأة التي تفوق الزهراء سلام الله عليها برهافة الحسّ ؟ الزهراء (ع) تنظر إلى أعمالك وليس إلى ظاهرك ، فشكلك ـ مهما كان جميلاً ـ شكل حيوانيّ ، الطاوس جميل الشكل أيضاً ! إنّها لا ترضى لك أن تزهو بنفسك ، لأنّ حقيقتك هي شكل روحك ، ويتّفق ـ أحياناً ـ أن تكون حقيقتك حيواناً كريهاً ، يعرفه أهل العقول ، فتنتشر منك أكثر الروائح عفونة ، ولو سكبت في قبرك ألف مثقال من العطر فلن يفيدك .

يقال : يحدث أحياناً لامرىء أن يقول الكذب . فتنتشر منه رائحة نتنة يتأذى منها عرش الملائكة ، والملائكة تلعنه مهما كان ظاهر بدنه جميلاً ، فكلما

---

(١) من كتاب (معارف القرآن) ص ٢٨٦ ـ ٢٨٨ .

كنت أسرع إلى تطهير ذاتك ، كلما كان أفضل . لا تنظر إلى جمال بدنك ، بل تعال لأريك الجمال الحقيقي ، جمال محمد (ص) ، وكلّ من هو محمدي ؛ فهناك جمال الروح الذي يعنيك . روحك بحاجة إلى لباس ، لو كان لباسك من النار[1] . كذلك لو نظرت إلى بواطن الظالمين لرأيتهم يلبسون لباساً من نار ، فطعام الظالم ولباسه ونومه ، وما فوقه وتحته ، وجميع شؤونه . . كلها من نار. فعلى الإنسان أن يراقب نفسه ، وأن يخضعها للمحاسبة قبل أن تفارق روحه جسده .

لا تلهكم دنياكم عن ذكر الله

القرآن المجيد يحذّر : لا تجعلوا دنياكم شاغلكم[2] ! أيّها الملأ ، لا تجعلوا دنياكم شاغلكم ، لقد غفلتم عن أنفسكم ، وانشغلتم بجمع المال حتى أتاكم الموت[3] . لا تخدعنّكم الدنيا[4] . راقبوا إيمانكم .

وأنتم أيها الصائمون ، ما الفرق بينكم وبين الذين لا يصومون ؟! أأنتم الميتون ، أم هم الميتون ؟! الخوف هو أن يفسد الصيام فيكون مكراً وخداعاً شيطانياً !! .

اعلموا أنه لا انشغال في يوم القيامة . فتلك أمور تعود للدنيا . أما بعد الموت . . فليس هناك سوى نفسك وعملك .

عن الإمام زين العابدين (ع) : كلّما قلّبت كتاب عملي ، لم أجد فيه أثراً لنفسي . ولم يتبقّ غير طريق واحد ، هو فضلك وكرمك . لم يتبقَّ غير أن أرفع يد الفاقة وأقول : يا كريم العفو ! .

---

(١) ﴿ سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ﴾ سورة إبراهيم (١٤) : الآية ٥٠ .
(٢) ﴿ لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ﴾ سورة المنافقون (٦٣) : الآية ٩ .
(٣) ﴿ ألهاكم التكاثر * حتّى زرتم المقابر ﴾ سورة التكاثر (١٠٢) : الآيتان ١و٢ .
(٤) ﴿ فلا تغرّنّكم الحياة الدنيا ، ولا يغرّنّكم بالله الغرور ﴾ سورة لقمان (٣١) : الآية ٣٣ .

إيمان ساعة واحدة كفيل بقطع دابر الفحشاء

أورد لكم شاهداً : في أوائل بعثة رسول الله (ص) كان رجل يدعى فضالة بن عمير ، وكان امرأً عالماً ، غير أنه قذر السيرة ، وكان منذ البداية يضمر السوء لرسول الله (ص) حتى أنه صمم على قتله غيلة وفي المسجد الحرام . واتفق أن لقيه الرسول (ص) في المسجد فسأله :

ـ « أنت فضالة » ؟ قال : نعم . قال :

« ماذا قصدت » ؟ أي ما الذي تضمره وتعزم عليه ؟ كأنه (ص) أراد إفهامه أنه يعلم بعزمه على قتله . وأنه يتظاهر بغير ذلك . قال فضالة :

ـ قدمت لتأدية الطواف !! .

لكن رسول الله (ص) تبسّم وقال :

ـ استغفر الله . وأعلن توبتك عن هذا التوهّم الشيطاني . فإن القتل عمل كريه ! .

ما أن قال (ص) ذلك ، حتى بدأ فضالة يرتجف لكن رسول الله (ص) وضع يده المباركة على قلبه ، فهدأ وسكنت نفسه ، وقال من فوره : « أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله » . قالها بإيمان حقيقي .

هذه هي حقيقة الإيمان وحقيقة المؤمن . بعضهم يقولون : نحن مسلمون . . وهم مع ذلك يقتلون المسلمين !! إن قال شخص : « لا إله إلاّ الله » فمجرد النطق بها يعني أنه لم يعد غير مرتبط أو غير مسؤول . . « إنّا لله وإنّا إليه راجعون » تفيد المسؤولية ، أي : أنا مسؤول . فإن ارتكبت معصية فأنا نادم وخجول أمام ربي . هل تظن أنك بقولك : « لا إله إلاّ الله » قد قمت بما عليك ، وكفى ؟ إن « لا إله إلاّ الله » تتضمن الكثير . . . وكثير من المسلمين ـ في الظاهر ـ لا يدركون معنى الانقياد والعبودية لله ومسؤوليتهم لا توحي لهم بأن هناك مقاماً أعلى وأسمى ، وهو الله .

غرضي القول : إن هذا الرجل الشريف قدم دليلاً على صدق إيمانه بعد أن أعلن إسلامه . فقد كانت له رفيقة في إحدى نواحي مكة ، حيث كان يتردد . وكانت واحدةً من الساقطات اللواتي كان لهن سابق علاقة مع ابن فضالة ، واتفق أن لقي ابن فضالة معشوقته تلك في الطريق فجأة ، فصرف وجهه عنها ، ولم يعاود النظر إليها .

صاحت المرأة : أي فضالة ! ما الأمر ؟ ألم تعد لي رفيقاً ؟ .

قال فضالة : أما الآن ، فلا . إني سرت في طريق لن تجمعني بك أبداً .

قالت : وما ذاك ؟ .

قال : صرت من أتباع محمد المصطفى (ص) . ومن كان من أتباع محمد (ص) ، فلا شأن له مع الفاحشة[1] .

إذا أشرقت أنوار الإيمان تجلّت القدرة الإلهية[2] .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقصد الرياء

يقوم الإنسان في أحيان كثيرة بالأمر بالمعروف وبالنهي عن المنكر ، ويظن أنه أنجز واجباً مهماً . غير أن المخطط والمحرك له هو الشهوة والغرور وحب العظمة ، أو للانتقام من خصم مخالف للإسلام . لكن إنساناً كهذا لم يقم بما يعود عليه وعلى الآخرين بالنفع ، ذلك أن الحقائق هي التي تقود المجتمعات إلى طريق الهداية ، وهي التي تطهّر الأرواح ؛ أمّا الألفاظ الخشنة الجوفاء ، فليست أكثر من سراب يحسبه الظمآن ماء ، لكنه لا يروي من ظمأ ، ولا يدفع ظمأ عن أحد .

---

(١) من كتاب (الدنيا في خطر السقوط) لأبي العلاء المودودي .

(٢) ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ سورة الأنعام (٦) : الآية ١٨ .

وبهـذا الاتجـاه سعى الإسـلام حثيثـاً في الـدعـوة إلى الإخـلاص في العمل ، وقال : عليكم ـ في كل عمل تقدمون عليـه ـ أن تبنوا بيتـاً ، أو ترووا شجـرة ؛ ليكن عملكم من أجل الله ، لـذا أوصى رسول الله (ص) بـذلك في شأن النوايا فقال : « إنما الأعمال بالنيّات ، وإن لكل امرىء ما نوى » .

المجـاهد الـذي أعدّ لـه هذا القـدر من الثواب ، إنمـا يُقبـل جهاده إذا خلصت نوايـاه. أما إن لـم تكن كذلك ، واتفق أن لقي حتفه ، فلن يغني عنـه شيئاً . فالعمل إن لم يكن لوجه الله ـ حتى لو كـان يجمع أعمـال أهل الأرض كلهم ـ فلا نتيجة له . فماذا يجدي عمل تافه كجهاد شخص ، أو أمر بمعروف ونهي عن منكر من آخر ؟! .

ورد في النقـل أن أحـد المسلمين قتـل بيـد أحـد الكفـار في إحـدى المعارك ، وكان يعرف بين المسلمين بلقب « قتيل الحمار » . ذلك أنه اشتبك في قتال مع الكـافر ، وكـان غرضـه أن يقتله ليغنم منه حمـاره ، لكنه كـان هو المقتول ، وصار يعرف باسم ينطبق على ما نواه ! .

وشخص آخر . . خرج إلى القتـال مع أنصـار رسول الله (ص) ، وكـان غرضه أن ينال امرأة كانت في جيش الكفار ليتـزوج بها . كـانت المرأة تـدعى (أم قيس) ، فاشتهر هذا الرجل بين المسلمين باسم « مسافر أم قيس » ! .

سلوك المهاجرين أمام النجاشي

تعرض المسلمون في بداية الدعوة الإسـلامية لـلاضطهـاد والتعذيب من المشـركين ، فاضـطروا إلى الهجرة واللجـوء إلى الحبشة وملكهـا النجاشي . فأرسل المشـركون يـطلبون إعـادة المسلمين وتسليمهم إلى شخصين وفدا إلى الحبشـة من قبل المشـركين هما عمـرو بن العاص وعمـارة . ولمـا مثـلا أمـام النجاشي جلس عمرو على الجـانب الأيمن من المجلس ، وجلس عمارة على

الجانب الأيسر منه ، وكان من الآداب المتبعة في مملكة الحبشة أنّ على كل من يفد إلى مجلس الملك أن يسجد بين يديه . وهكذا فقد سجد عمرو وعمارة بين يدي الملك ، قبل أن يتخذا مجلسهما .

ثم وفد جعفر بن أبي طالب ، شقيق أمير المؤمنين (ع) برفقة المسلمين إلى المجلس ، واكتفوا بالقول : « السلام على من أتّبع الهدى » ، ثم اتجهوا إلى ناحية حيث اتخذوا مجالسهم دون أي انحناء أو غيره .

قال الشيطان عمرو بن العاص : أيها النجاشي العظيم ، لن أقول لكم إن المسلمين لا يكنّون لكم احتراماً ، فقد رأيتم بأنفسكم أنهم لم يسجدوا بين يديكم . فهؤلاء إمّا أن تقتلوهم أنتم ، وإمّا أن تسلمونا إيّاهم فنقتلهم .

قال النجاشي : اسألوا هذه الثلة من المسلمين ، لماذا لم يراعوا الآداب الملكية ؟ .

سألوا جعفراً عن ذلك ، فأجاب :

ـ نحن مسلمون ـ والمسلم لا يملك حق السجود لغير إلهه[1] ، والملك أصغر من ذاك الذي نسجد له ، فكيف نسجد لمن هو بشر عاجز مثلنا ؟! فكلّنا من التراب ؛ وكلّنا محكومون بأحكام الوجود ؛ وكلّنا سنقف في الآخرة أمام محكمة العدل الإلهية ؛ فحرام على المسلم أن يسجد لغير الله ؛ وكل من ينظر إلى الله ، فإن الله ينظر إليه .

أحسّ النجاشي بالخشوع ، وانقلب في مجلسه يفكر : الإسلام الذي يتحدّث عنه هؤلاء هو دين حقيقي . فالحقيقة فيه واضحة . ثم ما لبث أن أعلن إسلامه ، وباءت بالفشل كل محاولات ذينك اللعينين كي يسلمهما المسلمين فلم يفعل ؛ بل أمر فوق ذلك بحراستهم إلى حيث يقيمون ،

---

(١) ﴿ إني وجّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض ﴾ سورة الأنعام (٦) : الآية ٧٩ .

وضمن لهم معاشهم[1] .

الحياة الإيمانية الطيبة هي القدرة : فالمؤمن لا يرتجف أمام أي شيء ؛ ولا هـو يلين أمـام المغـريـات ؛ ولا هـو يحيـد عن الحق فـراراً من عبء أو مسؤولية ؛ فمهما اشتدت عليه الضغوط فلا يتخلى عن الحق . والمرأة والمال والرئاسة والشهرة وطيب العيش ، كلهـا أمور لا يعيـرها التفـاتاً من أجـل الله ، ويتلقى الضربات كي تبقى روحه حاضرة متحفزة .

مظاهر التمدّن في طريق التوحش

الحيـاة الدنيـا هي العيش فوق التـراب من سـاعـة الـولادة حتى سـاعـة الموت ، فباستثنـاء الدين والأعمـال الإلهية التي هي معـرض عصيان البشـر ، فقد حددت الأعمال الدنيوية بعناوين خمسة : اللعب ، أي التلاعب والعبث . واللهو ، أي الباطل . والزينة . والتفاخـر ، أي التباهي بـالأحساب والأنسـاب والأعمـال . وخامسهـا : التكاثـر بالأمـوال والأولاد ، أي أن الإنسان المغـرور يجهـد في جمـع المـال وتكثيـره ، ويحب الإكثـار من الأولاد ، وتنـويـع المقتنيات ، كما يوسع أطراف معاشه المادية والدنيوية .

وجّه أحد الشبان ـ أمس ـ سؤالاً ، ولعلّ السؤال نفسـه يجول في أذهـان البعض منكم . والجـواب عن هـذا السؤال إنمـا يكـون من فـوق المنبـر . . تتساءلون :

ـ لقد ضربتم لنا مثلاً على اللهو واللعب ، بألعاب كرة القدم والمصارعة والمـلاكمـة والسينمـا والتلفـزيـون ؛ وعلى هـذا فقـد رددتم كـافـة مـظاهـر المدنية !! .

إنه الشباب الذي لا يدرك ما هو التقدم . فظاهـره فيه التمـدن ، وباطنـه

---

(١) ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين ﴾ سورة الأنعام (٦) : الآية ١٦٢ .

ـ في الحقيقة ـ فيه المسير إلى التوحش . أنتم تتخيلون أن السينما التي تثير الشهوات مظهر من مظاهر المدنية ، وهل التوحش أسوأ من هذا ؟! لقد كررت هذه العبارة مراراً ، وهي أن ابن آدم يروح إنساناً ويغدو حيواناً متوحشاً ، همّه التهافت وراء الشهوات ، وراء نساء الآخرين وبناتهم .وو . . . وكل عمل قذر من هذا القبيل ، وهذه أمور مذكورة في المجلات ، فأنا لا ألقي التهم جزافاً . لقد سمعتم مراراً وتكراراً أن الكثير من الجرائم التي يرتكبها أهل هذه الأيام إنما تعلّموها من برامج السينما والتلفزيون ، حتى في المحاكم ومراكز الأمن ودور العدل يحاولون التحقق لمعرفة ما هو المحرك والدافع لهذه الجرائم ؟ ولماذا ، ومن أجل ماذا ارتكبت جناية القتل بحق أخيك أو أمك أو امرأتك ؟ إن أساس ومنشأ تلك الأعمال أضحى معروفاً ، فجناب السيّد كان واقعاً أمس تحت تأثير عرضٍ تلفزيوني فقام بارتكاب جريمته[1] ؛ هذا غير الكثير مما لا يكتبونه ، وليس إلا جزءاً من آلاف ! .

لعبة الملاكمة مثلاً ، هذا العمل الوحشي ! إنه ليس تمدّناً ، بل هو وحشيّة بعيدة عن الآدمية . فالتعبير ـ أولاً ـ عنها بأنها من مظاهر المدنية ، غلط . وهو كلام يجانب الواقع والحقيقة . أما مسألة الحكم الشرعي ، فأنا لم أقل بأن كل هذا حرام ، إنما أوردت مثالاً على اللهو واللعب فحسب . وأما حكمهما الفقهي ، فالفقه يفرّق بين ما إذا كانت تندرج تحت عنوان خاصّ من العناوين المحرمة ، فتكون ـ إذ ذاك ـ حراماً ، وبين غير ذلك .

حكم اللعب مرتبط بعنوان ثانوي

بعض الألعاب ـ مثلاً ـ تكون قماراً أحياناً ، إذا مورست بآلات القمار ، فهي حينئذٍ حرام ولا شك . وكل ما يصدق عليه وصف القمار ـ ولو لم يكن

---

(١) لا شك بأن القرّاء الأعزاء يدركون أن هذه الأمور كانت تقع في أيام النظام السابق ، وهي مرتبطة ببرامج التلفزيون والسينما ، الأمر الذي لا وجود له في عهد الجمهورية الإسلامية .

للربح والخسارة ـ فهو حرام . وأمّا غير آلات القمار ـ إن كان فيها خسارة أو ربح على رأس المال ـ فهي حرام كذلك . مثلاً : لو ركب اثنان درّاجتين ، واشترطا أن يكون للسابق منهما في وقت محدّد قدر من الربح يتقاضاه من المتسابق الآخر ، أي أنهما أقاما سباقاً بعوض « لا سبق إلاّ في خفٍّ أو نصلٍ أو حافر » . فكافّة المراهنات حرام .

قبل مدة ، اشترط جماعة أن كل من يأكل مقدار منٍّ من (البوظة) يربح مئة تومان . فأكل أحدهم منّاً وقبض مئة تومان ، ثم مات في المجلس نفسه . ثمن مناسب لا عيب فيه(1) !! .

من العناوين الأخرى المحرمة : ما كان غير مرتبط بآلات القمار ، وليس فيه ربح أو خسارة ، بل هو محرّم تحت عنوان آخر ، كما لو كان فيه إيذاء للغير ، مثلاً ، فاللعب الذي فيه إيذاء للغير حرام ، ولا فرق في هذا العنوان إن وقع الإيذاء على النفس أم على الغير ، فهو حرام . كألعاب المصارعة أو الملاكمة فهي إما أن تنتهي بكسر يد أحد اللاعبين ، وإما بإصابة الأعضاء برضوض أو أضرار ، والنتيجة بلاء ينزل على رأسيهما كليهما ، فضرب الآخرين عمل حيواني . وما أرمي إليه هو أن الألعاب التي تتضمن ضرراً للنفس أو للغير تصبح محرمة . أما لعب الكرة ، فإن لم يكن فيه ضرر فلا مانع منه ، أما إن كان فيه إيذاء أو إضرار بالنفس أو بالغير فهو حرام كذلك .

إني إنما أقول هذا على وجه العموم ، فلا يقولنّ أحد : إن السيد يفتي بحرمة لعبة كرة القدم ! أعيد أنها إن لم يكن فيها إيذاء أو ضرر فلا عيب فيها ، كما لو كانت لغرض عقلائي حسن ، فلا بأس ، كأن يلعب أحد المصارعة من أجل صحة المزاج .

أما السينما ، فهي بذاتها ، أي داخلها ، لا حرمة ذاتية فيه ، أعني : إن

(1) يرجى الرجوع إلى الملحوظة في الحاشية السابقة .

كان أحدهم يعمل فيها فلا بأس ، أما حين تعرض برنامجاً محرماً فالذهاب إليها لا شك حرام ، والجلوس فيها حرام ، والتسلية فيها حرام . لئن كان في داخلها ما نأباه في خارجها فقد وقعت اللعنة على مؤسسها . كما لو عرضت صورة امرأة عارية ـ يخجل المرء من تكرار النظر إليها ، في هذه الحال من الفحشاء ، فإن لعنة الله تقع على من يستأنس ببرامجها .

هذا وليس لأحدٍ أن يقول مرة واحدة : إذاً ، فالأشخاص الذين يترددون على سينما (ركس عبادان) ، وحيث إن عملهم حرام ، فقتلهم إذاً لا عيب فيه .. لا ، لا تخلطوا شيئاً بشيء . أولاً يجب رؤية الفيلم الذي يشيرون إليه ، وأي نوع هو من الأفلام ، فإن ظهر أنه من ذلك اللهو المحرم ، فالذهاب إليها حرام . وليس كلّ من أتى حراماً حلّ دمه ، فهذا العمل لا يُحلّ دمه ، إنما هو يُجبر على التوبة .

لعنة الله على تلك الأجهزة التي تضرم النار في قلوب أولئك المساكين[1] .

تعلّموا الإخلاص في العمل من علي (ع)

على الإنسان التوجه إلى الله في كل ما يعمل .

جمع علي (ع) خمسمئة حبة من نوى التمر ، وحملها على كتفه إلى حيث غرسها حبة فحبة لوجه الله تعالى ، وحين استوت أشجاراً وقفها هبة لوجه الله أيضاً . كان إذا اشتد الحر يقوم بحفر بئر بيديه ، حتى إذا وصل إلى الماء صلى ركعتي شكر لله ، وقال : ربِّ اشهد أني وقفت هذا الماء للعابرين والعطاشى كافة ، والذين كانوا السبب ، ونجّني غداً من حميم جهنّم .

هذا هو التكاثر الروحاني ، حتى أكل الخبز يجب أن يكون لوجه الله ،

---

(١) من كتاب (معارف من القرآن) ص ٤٠٦ ـ ٤٠٩ .

كما يستحب الأكل في السحر ، ولو حبة تمر ، لأنه ورد الأمر بالسحور .

ليلة الزفاف وعمل المستحبات

كذلك لو قاربت زوجتك فليكن عملك لله ، وقد ورد في الفقه ؛ قل عند بدء الجماع : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

أما نحن . . فقد تجاوزنا دور الشباب . وإنما الدور الآن لكم . لكل من لم يتخذ زوجة بعد . هناك الكثير مما يتوجب عليكم عمله ليلة الزفاف ، فالعرس يستحب مع الوضوء ، على الزوج أن يرد حجرة الزفاف متوضئاً ، فالأمر ليس مجرد وصال حيواني بين ذكر وأنثى . لذا يستحب قبل المواقعة أن تُمد سجادة الصلاة ، ويأتي الزوج بركعتين من الصلاة ، صلاة شكر النعمة ، فالمرأة نعمة وهبها الله إليك ﴿ وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾[1] . وجعلها لك أنساً ووسيلة لبقاء نسلك وحفظ دينك ، إذ لولا الزوجة الحلال ، فما العمل ؟ .

لتقم الصلاة ليلة عرسك ، فهي من المواقف التي يستجاب فيها الدعاء ، فدعاؤك فيها مستجاب .

حياة رحمانية لغرض عقلاني

أما الحياة الرحمانية . .

اللعب يعني أصلاً : العمل الذي لا ثمرة فيه . وكل عمل ، إنما يتم لغرض عقلاني . فالعاقل لا تشغله الغفلة ، العاقل لا تشغله الزينة ، بل هو يسعى وراء الزينة الحقيقية ألا وهي التقوى ، العاقل منزّه عن التفاخر ، فالتفاخر من الجهل ، والمؤمن يتّصف بالتواضع ، فكلما قوي إيمان المرء ،

---

(١) سورة الروم (٣٠) : الآية ٢١ .

كلما ضعف لديه التظاهر بالاعتزاز وقلّ تفاخره .

ورد في (عيون أخبار الرضا) أن أحدهم قال للإمام الرضا (ع) : يابن رسول الله ، هل يوجد من هو أكثر منك فضلاً على وجه البسيطة ؟ فقال (ع) : « من يكون أتقى مني ، أفضل مني » . فميزان الفضيلة هو التقوى ، وليس ميزان الفضيلة النسب ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

التكاثر : أهل الجهل يسعون لزيادة ماديّاتهم ، بينما يسعى أهل العقل لزيادة خيراتهم . إنهم يتكاثرون بالأعمال ، وأهل الجهل يتكاثرون بالأموال والأولاد ؛ أهل الدنيا يسعون وراء الدرهم ، أما أهل العقل والحقيقة فيسعون وراء رضى الخالق .

عن علي (ع) : لن أبرح حتى أنفق آخر درهم في بيت المال ، ولن أستبقيه إلى الغد ، لعلّ علياً لا يبقى حياً إلى الغد .

يجب الإسراع في عمل الخير « سابقوا » ، سابقوا قبل فوات الأوان ، فلا ضمان في العمر ، على النقيض مما يقوله أهل الدنيا : ﴿ وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور ﴾[1] .

تلك هي عاقبة الحياة الدنيا ، أما العقبى في الآخرة فليست كما في الدنيا حيث أسباب الانشغال ، فهناك ثواب أو عقاب ليس إلاّ .

اعلموا أن الحياة الدنيا ليست ـ بالنسبة لأهل الدنيا ـ سوى الغرور ، والغرور إنما هو نقيض الواقع .

« لا تربط قلبك بالدنيا ، فهي عروس عديمة الوفاء . لم تخلص بسحبتها ليلةً لأحد »[2] .

---

(١) سورة الحديد (٥٧) : الآية ٢٠ .

(٢) ترجمة لبيت من الشعر الفارسي :

دل به جهان مينذكه اين بيوفا عروس   باهيج كس شبى به محبت سحر نكرد

نحن الآن في الثلث الأخير من شهر رمضان المبارك فارفعوا أيديكم بالدعاء ، كي تكون حياتكم حياة روحانية . لتقم في ليالي شهر رمضان واقفاً على قدميك . كان نبينا (ص) يقف على قدميه عند أعتاب الرحمن ، حتى تورّمتا . قيل له : يا رسول الله ، لماذا تلقي بنفسك إلى المشقة ؟ قال (ص) : « أفلا أكون عبداً شكوراً »[1] ؟! .

المجسمات مقدمة لعبادة الأصنام

عند فتح مكة أمر الرسول (ص) علياً (ع) بأن لا يذر صورة قائمة ، بقوله : « يا علي ، لا تدع صورة إلّا محوتها » . ولهذا كان صنع المجسّمات محرماً .

نشكر الله على أن كانت السعادة من نصيبكم (يا أهل إيران) ، فقد حطمتم صنم هذا الزمان ، ورحم الله الشباب الذين هيّأوا لكم باستشهادهم هذا الفوز الكبير .

لا تصلّوا في مكان علّقت فيه صورة ، ومهما عكستم وضعها أو جعلتموها خلف أظهركم فهي مكروهة . إذ أن عبادة الصور خرافة .

أردت أن أبين علّة انتشار عبادة الأصنام منذ القدم وحتى اليوم ، ولماذا كان عدد عبّاد الأصنام يفوق عدد الموحّدين على الدوام . فلو صنّفنا البشر لوجدنا أغلبهم ممن يعبدون الأصنام ويعبدون الحيوانات وو . . . . وقد أوضحت علّة ذلك ، فالبشر بحاجة قبل كل شيء إلى رشد عقلي كي يتحركوا بنور عقولهم ، ويصرفوا أنظارهم عن المادة ؛ إذ لولا وجود التقوى لاشتدّ ارتباطهم بالمادة ، سيّما إذا ساعد التدخّل الخارجي على ذلك ؛ كما جرى فيما مضى في إيران ، إذ كان سعي الآباء والأبناء منحصراً ـ خلال خمسين

---

(١) بحار الأنوار ـ المجلد السادس .

سنة ـ في التردد بين الجامعة والمدرسة ، بعد أن أقاموا سدّاً بينهم وبين الروحانيات ، فاشتدت من جانب آخر عبادة الأصنام وعبادة النار .

اقرأوا تاريخ البشر ، فهل تعثرون ـ في الأيام الغابرة ـ على أثر لسلطان ما في مملكة ما ، أثار حرباً على عبادة الأصنام ؟! (يروون أيضاً أن السلطان محمود غزنوي جرّد جيشاً ضد الهند من أجل . . حفنة من الجواهر) بل إنهم على العكس ـ يعملون على تقوية عبادة الأصنام ، بل ـ أكثر من ذلك يصنعونها بأنفسهم لخداع الأمة ، حتى أنهم يقدمون بأنفسهم الاحترام والتقديس للأبقار !! .

ورد في إحدى الصحف ـ منذ سنوات ـ أن المطار الدولي في مدينة دلهي قد تعطّل ، لأن بقرة تفضّلت بالدخول إلى المطار . . واحتراماً للبقرة ، فقد جرى تعطيل المطار لمدة ست ساعات ، ريثما تفضّلت وغادرته باختيارها !! .

أكثر الناس فاسقون

﴿ ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم ، وجعلنا في ذرّيّتهما النبوّة والكتاب ﴾[1] . أي أننا أرسلنا حقاً نبي الله نوحاً (ع) ، وخليل الرحمن إبراهيم (ع) إلى الناس ، وجعلنا النبوّة والكتاب في ذريتهما دون غيرهما .

﴿ فمنهم مهتدٍ وكثير منهم فاسقون ﴾[2] . أي أن القليل من ذرية نوح وذرية إبراهيم قد رزق الهداية واستجاب للدعوة ، لكن أكثرهم فسق وانحرف عن طريق الحق ، ولا يزالون كذلك حتى اليوم .

كان أتباع الشيطان دوماً يمثلون الأكثرية بالمقارنة مع أتباع الرحمن . فكم يبلغ عبيد المادة ، وعبيد الشهوات ، وعبيد الدنيا بالنسبة لعبيد

(١ ، ٢) سورة الحديد (٥٧) : الآية ٢٦ .

الله ؟! لقد تمرّد أكثرهم وفسقوا وخرجوا عن طاعة الرحمن إلى طاعة الشيطان !!

﴿ **ثمّ قفّينا على آثارهم برسلنا** ﴾[1] . أي أرسلنا بعد نوح وإبراهيم (ع) رسلنا إلى الناس ، ولم يحُلْ تمرد البشر دون إرسالنا للرسل واحداً تلو الآخر .

لمحة موجزة عن سيرة المسيح (ع)

﴿ **وقفّينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل** ﴾[2] . وأخيراً ، وقبل نبي الإسلام (ص) ، أرسلنا عيسى ابن مريم (ع) وأنزلنا عليه الإنجيل .

يجب أن يعلم أنَّ الإنجيل ذو أصل سماوي ، وقد قام أهل الاطّلاع بنقله عن المسيح (ع) ، الذي تنزّل عليه الإنجيل بعد بلوغه الثلاثين من عمره الشريف ، وذلك طيلة ثلاث سنوات ، حيث قام بإبلاغه للناس .

كان للمسيح (ع) اثنا عشر حواريّاً هم رؤوس أنصاره ومساعديه . وفي تلك السنوات الثلاث ، لم يتخذ المسيح (ع) له بيتاً في العمران ، فلم تكن له زوجة أو أولاد ، وكانت الشمس ضياءه ، وكان تراب الأرض له فراشاً ، وأوراق النبات والثمار له طعاماً .

وبعد انقضاء السنوات الثلاث ، حاصره اليهود المعاندون يريدون قتله ؛ وأثناء الحصار ذهب شخص اسمه يهوذا ـ وهو أحد حوارِيّيه ـ إلى اليهود ، وباعهم المسيح (ع) بثلاثين درهماً من الفضة ، هي ثمن خيانته . فحضر اليهود وقبضوا عليه ، وبيّتوا أمرهم على صلبه في غدهم .

يقول المسيحيون : إن اليهود صلبوا عيسى (ع) ، وبعد موته أنزلوا جثمانه ودفنوه في بيت المقدس ، وبقي في قبره ثلاثة أيام ، ثم عادت إليه

(١، ٢) سورة الحديد (٥٧) : الآية ٢٧ .

الحيلة بعد الأيام الثلاثة ، فدخل جهنم لمدة ثلاثة أيام كذلك (حيث ستدخل أمته فيهما بعد) !! .

أما إنجيل عيسى (ع) فقد أحرقه المسيحيون وأبادوه وبعد سنوات قام بضعة أشخاص ـ أسماؤهم معروفة ـ بوضع إلهاماتهم في كتاب (أو على قولي : خرافاتهم التي بثّها الشيطان في قلوبهم) وهو الإنجيل الموجود اليوم . لذا فهو ليس بكتاب سماوي ، كما أن توراتهم ليست كذلك .

واليوم ، فالكتاب الوحيد ، الذي هو كتاب سماوي قطعاً ، هو قرآن محمد (ص) . فالقرآن كتاب يضمّ الوحي الإلهي الصريح ، الذي نزّله الله على قلب حبيبه ، وجرى على لسان لطفه ثم انتشر[1] .

لماذا لم يؤمنوا بمحمد (ص) ؟!

السؤال هو : ألم يبتعد أولئك عن المدنية ، وينعزلوا بمكان يصونون فيه دينهم ، يرقبون الوقت الذي سيظهر فيه أحمد ؟ .

بعد ستمئة سنة (الفاصل الزمني بين المسيح ورسول الله) وحيث كان بعض الرهبان من المرتبة الثانية والثالثة ـ ولعلّ بعضهم من الدرجة الأولى ـ لا يزالون في الوجود ، وعلى حين غرّة ، شهد أولئك السادة ـ نزلاء الصوامع ـ النبي الذي ظهر ، والذي نقلت إليهم أوصافه كما وردت في الإنجيل ، فما كان من عدد كبير منهم إلّا أن قالوا : لا . . لم يظهر بعد . وهذا الـ (أحمد) هو غير ذاك ! فلماذا الإنكار ؟!! لأن مقاماتهم ستنهار ، لأن كل مسيحي كان يتجّه إليهم ، وتتدفق عليهم منه التحف والهدايا ، ويسبغ عليهم آيات الاحترام والإجلال .

إنهم رهبان مسيحيون . فلو قالوا ـ إذ ذاك ـ : إن نبيّكم ظهر ، لرجع

---

(١) من كتاب (معارف من القرآن) .

الجميع إلى المدينة . لكن أمراً كهذا لن يكون ، ذلك أن الإنسان طالب رئاسة ، ومن الصعوبة بمكان أن يتخلى عن هذه الرئاسة .

إذاً ، فهم لم يقوموا بما يتوجّب عليهم « وكثير منهم فاسقون » ، لَقد فسقوا ؛ لقد جرّهم حب الدنيا وحبّ الرئاسة إلى النار ؛ فهم ـ للأسف ـ لم ينكروا رسول الله فحسب ، بل كانوا على استعداد لحربه .

أبو عامر الراهب ومسجدٌ للضرار

أسوق مثلاً : أبا عامر ، الذي كان راهباً زاهداً نزيل إحدى الصوامع . وحين قدم رسول الله (ص) إلى المدينة ، رأى هذا القزم أن الناس يأتون زرافات إلى محمد في مسجد قباء[1] ، هذا المسجد الذي أقيم لدى قدوم النبي (ص) إلى المدينة لتقام فيه الصلاة ؛ فما كان من قبيلة قريبة منه إلاَّ أن أقامت مسجداً مقابلاً له ، منافسةً لرسول الله (ص) ، وبدافع الغرور ؛ إذ شقّ عليهم أن يكون لغيرهم مسجد ولا يكون لهم مثله ! .

وأخيراً ، نزل الأمر إلى الرسول (ص) بأن يهدم هذا المسجد[2] ، فالمسجد يكون مسجداً إذا أقيم من أجل الله ، أما إن أقيم للتظاهر فالأولى به الخراب ، والأولى إحراقه ، المسجد يعني المكان الذي يبنى من أجل عبادة الله ، وليس من أجل تفاخر قبيلة . لذا فقد أمر رسول الله (ص) فريقاً من أصحابه ، فأحرقوا هذا المسجد ، ولم يبقوا منه أثراً . لأنه كان مسجداً من أجل راهب مسيحي .

---

(١) ﴿ لمسجدٌ أُسّس على التقوى من أول يوم أحقّ أن تقوم فيه ﴾ سورة التوبة (٩) : الآية ١٠٨ .

(٢) ﴿ اتّخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين ، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ﴾ سورة التوبة (٩) : الآية ١٠٧ .

تحريض أبي عامر وموته وحيداً

﴿ فما رعَوْها حقّ رعايتها ﴾ .

قبل قدوم رسول الله (ص) ، كان أبو عامر الراهب يقول : يجب أن أرقب ظهور أحمد ، لكنه الآن بعد مجيء أحمد يقول : لا . . ليس هو ! .

لقد وصل الأمر بهذا الخبيث أن يأتي إلى النبي ويقول : يا محمد . . ما هذا الذي تقوله ؟ وما هذا الكلام الجديد الذي أتيت به ؟ فقال له (ص) : إنه الدين الحنيف ، دين إبراهيم الخليل ، فقال الخبيث : وأنا مثلك ، فلديّ دين إبراهيم الحنيف ! قال رسول الله (ص) : لا ، فأنت لست كذلك ، وأنت إنما تخلط ! .

أصيب القزم بالقهر ، وغادر رسول الله (ص) ليشرع في تجهيز جيش لمحاربته . وحين أظهر ضجره وامتعاضه من رسول الله ، لعنه (ص) وقال (كما هو مؤدى الرواية) : أسأل الله أيّنا ـ أنا وأنت ـ لم يكن دينه من قبل الله ، أن ينزل به الهلاك وحيداً . فقال أبو عامر : اللهم آمين ! .

وما لبث أن شرع بالدعاية ضد رسول الله (ص) ، وراح يتجول ويجيّش الأحزاب حتى وصل إلى الشام ، حيث كان اليهود يتمركزون ، ومن هناك راح يحثّ أهل الشام على حشد الجيوش لقتال رسول الله (ص) .

وعلى أي حال ، فخلال سفرته إلى الشام ، وتنقّله من قرية إلى أخرى ، سقط في البادية وحيداً ، وصار إلى جهنم[1] .

انتشار الشيوعية نتيجة لفساد الكنيسة

﴿ فما رعَوْها حقّ رعايتها ﴾ .

لم يرع نزلاء الصوامع حق القيم الروحية ، فأطلقوا العنان للماديّة ،

---

(١) من كتاب (معارف من القرآن) ص ٤٩٨ ـ ٥٠٠ .

وادّخروا الثروات ، وقد قرأت قبل بضع سنوات في إحدى المجلات أن جهاز الهاتف لدى البابا في إيطاليا كان من الذهب .

وفيما يعود للشهوات ، فقد نقل مراراً أن الفتيات الزاهدات في الدنيا ، واللواتي انصرفن ليصرن راهبات ، انقلبن إلى أمّهات أطفال ، برعاية عشاقهن ؟ وبلغن بالقذارة شأواً بعيداً .

وقد كتب أهل الاطّلاع أن الشيوعية التي قامت قبل سنوات على هذه الأرض ، إنما هي نتيجة لانحراف الكنيسة ، نتيجة للفساد الذي اقترف في الكنيسة المسيحية . وقد كتب الأقزام الشيوعيون في موسكو أن الدين ليس إلاّ مخدّراً وأنه نتاج لأخيلة الناس !! .

فهل هناك من يقول : إن هذه الحقارة اللاإنسانية هي الدين المسيحي حقاً ؟!! .

حاولوا معرفة الإسلام مرة ، يتبين لكم أيهما هو الدين الحق . .

روح الله زماننا هو الخميني

لقد عرفتم الكنائس المسيحية فحسب ، اقصدوا مساجد المسلمين مرة ، وتعرّفوا على روح الكلّ ، آية الله العظمى الإمام الخميني .

لقد سمعتم حين كان مقيماً في إحدى الفترات في فرنسا أن المسيحيين كانوا يتوافدون ليروا : من هو هذا الرجل الذي يناهز أتباعه خمسة وثلاثين مليوناً من البشر ؟ من هو هذا الرجل الذي لا يتكىء على الاتحاد السوفييتي ولا يتكىء على أمريكا ؟ فما أن يصلوا إليه حتى يروا أمامهم رجلاً مسنّاً ، تعلو رأسه عمامة كبيرة ، وعلى كتفيه عباءة . فلا مقر ولا بلاط ، ولا خدم من الغلاظ الشداد ولا حشم ، فلا يملكون إلاّ أن يعضّوا على أصابع الذهول والحيرة !! .

ورد في إحدى المجلات أن شخصاً (نسيت اسمه) قدم من أمريكا إلى فرنسا ، وحين سئل : من هو هـذا الرجـل ؟ من هو هـذا الخميني ، وأي نوع من الرجال هو ؟ أجاب : ذلك هو المسيحي الذي طالما كنّا نقدّسه وقـد تشرّفت اليوم بالحضور بين يديه ، إنّه روح الله ! السلام على عيسى روح الله .

يقول سبحانه : ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ . أجل ، فأكثـرهم قد فسقـوا واتخذوا موقف العداء للإسلام[1] .

أيها المؤمنون . . احذروا واتّقوا

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتّقوا الله ﴾ .

يـا من فزتم بـالإيمان ورضيتم بـه ، وقلتم : إنما نحن ربّـانيّون . اتّقـوا الله .

المادّيّون الملحدون على النقيض منكم . لقد توهّموا أن البشر إنما هـو نظير العشب البري ينمو عشـوائياً ، وتـوهّموا أن العـالم بدون مـالكٍ مهيمن ، وقالوا : إن العالم يسـير ويـدور هكذا بنفسه ، دون أن يكون له مسيِّر ؛ دون أن يكـون هناك عـالم مطلق غيـر محدود فـوق هذا العـالم . في حين أن « أثر الأقدام يدلّ على المسير » .

أو كمثـال آخـر : شيـخ مسنّ كـان يغـزل الصـوف . ويـروى أن رسول الله (ص) مرّ به فتوقّف وسأله : أيها الرجل ، ما هـو الدليـل على وجود صانع للعالم ؟ .

يقولون : حين سمع الرجـل المسنّ ذلك ، تـوقّف عن الغزل وقـال : يا رسـول الله ، إن دولاباً على هـذا القـدر من الصغـر لا يتحـرك مـا لم أحـركـه

---

(١) من كتاب (معارف من القرآن) ص ٥٠٣ .

بيدي ، فكيف إذاً يدور دولاب عالم الوجود ؟ وتدور هذه المنظومة الشمسية ، ما لم تحركها قدرة قادرة ؟ بل كيف تمّ نظمها وترتيبها ؟! .

الواقع أن كل من ينكر وجود رب الكون ، لهو أحقر من أيّ حيـوانٰ ، إذ هو لا يريد أن يفهم !! وإلاَّ فإن وجدانه خير شاهد ودليل .

وبهذا المعنى أذكر هذا المثال المكرر :

بعد أن تجهد نفسك في صنع كـوز للشربِ ، يـراه أحدهم فيقـول : ما أحسن هذا الكوز ! تُرى هل جـاء سيلٌ ومـزج الذرّات ببعضهـا ، ثم أصابتهـا الشمس فاستوت كوزاً أو كأساً بنفسها ؟ وهل امتدّت يداك إليها أم لا ؟ .

تقول أيها الخبيث : إنك ترى الكـأس ، ثم أنت تنكر صـانع الكـأس ! وترى الساعة ، وتنكر صانع الساعة ! وتـرى ابن آدم ، وتنكر صـانع ابن آدم ! وترى الحيوان والعشب والشمس و. . وتنكر صانعها !؟ .

الأمر إجمالاً غداً واضحاً[1] .

لماذا لا يُؤمر بالمعروف ولا يُنهى عن المنكر ؟

قبل أن ينال العصاة عذابهم الأخروي ، فإن أضـراراً دنيويـة ترافقهم في حيـاتهم . مثلاً : شـرب الخمـرة مجلبـة للجنـون ، الـزنى عـاقبتـه الأمـراض المختلفة ، و . . وترك الزكاة ينتهـي إلى اختلافات طبقية تعقبها ثورة . . فلم إذاً ، لا يمـارس الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكـر عملياً ؟ هـل لأن النـاس يهددون فاعلهما بالموت ؟ أم الخشية من أن يؤدي الأمر والنهي بصاحبهما إلى العـزلة عن المجتمـع ، فيقع في مصـاعب المعاش والـرزق والـزاد ؟ هـل أن توهّماً كهذا صحيح ؟ .

---

(١) من كتاب (معارف من القرآن) ص ٥٠٧ .

هل حقاً أن الأفراد الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ينتهون إلى القتل ؟ أو يموتون من الجوع ؟! .

لا ، أبداً ، فليس القتل أو خوف الموت من الجوع هو السبب ، إنما الأمر على النقيض تماماً . فالأفراد الذين ساروا على هذه الطريق التفّ الناس حولهم ، ووصلوا إلى مواقع القيادة ووضعت الأموال بتصرفهم . وإليك نماذج من الأفراد الذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، يريدون بهما الأمر والنهي الشرعيين :

رسول الله (ص) ووصيه أمير المؤمنين (ع) ، كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شغلهما الشاغل على امتداد حياتهما حتى رحلا عن الدنيا ، ومع أنهما غابا فقد امتد طريقهما الذي اختطاه : إن من حيث العظمة ، وإن من حيث بذل المال . فيا له من مجد في الحياة وفي الممات .

أما أن يقال بأن الإمام الحسين (ع) قتل لأنه أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ؛ وأن عيسى (ع) صُلب ، فغير صحيح . ذلك أن الإمام الحسين (ع) قتل لأنه رفض بيعة الظالم يزيد ، وكان القتل في انتظاره مهما عمل ! كما كان مصير أخيه الإمام الحسن (ع) تماماً ، أما المسيح فإنه لم يصلب ، إنما شبّه هذا الأمر للناس ، ولا علاقة لما جرى معه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن يعلم ؟ فإن أحداً لو لم يقتل بطريقة معينة لقتل بأخرى : بحرب أو حادث طارىء أو غيره .

في الأمر بالمعروف منفعة للخلق

لم يكن أمر ربّ العالمين وأمر رسوله الأكرم بمودّة أهل البيت (ع) من أجل نفع ينالهم من المسلمين ؛ فالدنيا أحقر وأصغر من أن تكون موضعاً لاهتمامهم ؛ وقد تكرر القول بأن الزهد في الدنيا هو من الشرائط القطعية للنبوّة والإمامة . ذلك لأن الذي يحب الدنيا إنما هو جاهل بحقيقتها ، غير

مدرك لحقارتها، وأن مصيرهـا إلى الفناء ؛ كمـا أنه غيـر مدرك لعـظمة الآخـرة وخلودها . والله سبحانه لا يختار الجاهل ليهبه مقام الولاية أبداً .

نفع الخلق من مودة أهل البيت (ع)

إذاً ، فالغرض الإلهي من الأمر بمودّة أهل البيت (ع) هو أن يصل الناس بفضل أتّباعهم ومحبّتهم إلى منافع لا آخر لها ؛ منهـا اتّحاد قلوب المسلمين ، ودخول الإيمان إلى قلوبهم ، وطهارة نفوسهم من الرذائل والعـادات القبيحة ، وإحـاطتهم بالمعـارف الإلهية والحقـائق الدينيـة ، وأحكام التقـوى وتعـاليمهـا والسبل إليها ، وأن يوفّقوا إلى شفاعتهم في الآخرة .

التقرّب من رسول الله (ص) بتأدية الخمس

كذلك فليس الأمر بتأدية الخمس إلى السادة الأجلّاء هو وصول المنافـع المـادية من المسلمين إلى ذرّيّـة النبي (ص) فحسب ، إنما الغـرض من هـذا الإنفـاق هو تـطهير النفـوس والأموال ، والتقـرّب من رسول الله (ص) بـواسطة إكـرام ذريته ، والـذي هو عين القـرب من الله ؛ كما هـو وسيلة للوصـول إلى شفاعته (ص) . ذلك هو الغـرض من الأمر بمـودة وإكرام الـذرية الـطاهرة إلى يوم القيامة .

الطريق إلى الله

وقد أشار القرآن المجيد بصـراحة إلى ذلـك ، إذ قال مـا مؤدّاه : قل يـا محمـد : إن كلّ مـا أسألكم من أجر الـرسـالـة إن هـو إلاّ (محبـة أهـل بيتي والخمس) . غير أن النفع يعود عليكم أنتم ، وليس عليّ ، فإنما أجر رسالتي على الله[1] .

---

(١)﴿ قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ، إن أجري إلاّ على الله ﴾ سورة سبأ (٣٤) : الآية ٤٧ .

كما يقول في موضع آخر ما مؤدّاه : قل لهم : أنا لا أسألكم أجراً على تبليغي للرسالة ، إلاّ من شاء منكم أن يتّخذ طريقاً إلى الله[1] ، إذ أن مودّة ذوي القربى هي طريق العبد إلى ربّه ، وهي وسيلة للوصول إلى مقام القرب[2] .

قصة عن فضل السادة

ورد في كتاب (الكلمة الطيبة) في الصفحة ٣٢٦ ، وفي كتاب (فضائل السادات) في الصفحة ٣٨٣ أن الحسين بن الحسن بن الحسين بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق (ع) ، ارتكب في قمّ أعمالاً قبيحة كشرب الخمر وغيره ، وذلك أيام الإمام الحسن العسكري (ع) . وكان والي أوقاف قمّ أحمد بن إسحق الأشعري ، رجلاً متصفاً بالصلاح والسداد .

أتى السيد المشار إليه يوماً لمقابلة الوالي ، فأمر الوالي بإغلاق بابه في وجهه ، ورفض مقابلته .

واتفق أن عزم الوالي في تلك السنة على زيارة الكعبة المشرفة ، والتشرف بالحضور لدى الإمام العسكري (ع) . وحين وصل إلى بابه ، أمر الإمام (ع) بإغلاق الباب في وجهه . وبعد تضرّع وبكاء شديدين سمح للوالي بالتشرف بالمثول بين يديه ، وحين تساءل عمّا بدر منه من تقصير استوجب إغلاق الباب بوجهه ، سأله الإمام (ع) : لماذا أغلقت بابك بوجه السيد أبي الحسن ؟ .

فأجاب : كان ذلك بسبب شربه للخمرة .

---

(١) ﴿ قل ما أسألكم عليه من أجر ، إلاّ من شاء أن يتّخذ إلى ربّه سبيلاً ﴾ سورة الفرقان (٢٥) : الآية ٥٧ .

(٢) من كتاب (حياة فاطمة الزهراء)(ع) ص ٤١ ـ ٤٤ .

فقال (ع) : ليس من شأنك مجازاتـه على عمله هذا فلستَ في المـوقع الذي يخوّلك التصرف على هذا الوجه مع ذرّيّـة النبي (ص) . فدع عنـك هذا النحو من السلوك كيلا تبوء بالعجز والخسران .

بكى أحمـد بن إسحق ، وأقسم بالله أنـه لم يطرده إلاّ لكي يـدفعـه إلى التوبة ، فصدّقه الإمام (ع) وقال :

« صدقت ، ولكن لا بدّ ـ لانتسـابهم إلينا ـ من إكـرامهم واحترامهم عـلى كلّ حال ؛ وأن لا تحقّرهم ولا تستهين بهم ، فتكون من الخاسرين » .

وبعد أن عاد أحمـد إلى قمّ ، وتوافـد الناس للسّـلام عليه ، كـان السيد حسين برفقتهم ، فما أن وقع نظر أحمد عليه حتى أسرع إليه واحتضنه وقبّله ، وأفسح له مكاناً إلى جانبه في مجلسه بكل احترام وإجلال .

تعجّب السيـد حسين من هـذا التصـرف ، وتسـاءل عن السبب ، فقص عليه أحمد ما جرى معه ، ونقل إليه أمر الإمام بشأنه .

حين سمـع ذلك نـدم على سوء عمله ، وأعلن تـوبتـه ثم عـاد إلى بيتـه وتناول أدوات الشرب واللهو فحطمها ، وعاد رجلاً ورعاً حسن السيـرة ، وغدا من عبّاد تلك الأيام ، يلازم المساجد ويطيل فيها اعتكافه .

لا استثناء في النهي عن المنكر

لو قيل : بناء على ذلك ، لو شوهد منكر من سيّد ، أفلا ينبغي أن يُنهى عنه ؟ وهل وجوب النهي عن المنكر يختص بغير السادة ؟ .

فالجواب هو أن الأمر ليس كذلك ، بل إن وجوب النهي عن المنكر عامّ غير قابل للتخصيص إلاّ في مواقع التقية ، وهذا يبحث في محلّه .

نعم ، في مـواجهة السـادات يجب الجمع بين المـودّة والمحبـة والنهي عن المنكر . فلو شوهد منكر من سيّد فلا يجوز أن نظهر له العـداوة ، ونشعره

بانقطاع وشائج المحبة معه ، إنما علينا ـ مع إشعاره باستمرار محبتنا له ـ أن نسعى إلى تخليصه من المنكر الواقع فيه ؛ تماماً كالأب الذي يرى من ابنه ذنباً ، فهو بالتأكيد لن يقطع علاقته معه ، ولن يقطع عنه محبته الأبوية ، كما أنه لا يجب حجز النفقة عنه ، بل يسعى عن طريق العطف وإظهار المزيد من المحبة (وهي المرتبة الأولى من مراتب النهي عن المنكر) في نصحه وإنقاذه من ذنبه .

تجب مراعاة مراتب النهي عن المنكر

فإن لم يمتنع ، واحتمل أنه يمكن عن طريق إظهار الغضب والقسوة أن يبعده عن الإثم ، حينذاك تمارس معه القسوة بشكل تدريجي كما تدعو الحاجة ، إضافة إلى تخفيض النفقة عنه إلى الحد الواجب .

أما إذا لم يرعو ، واحتمل بأن الضرب التأديبي يفيد في ردعه فيضربه ضرباً تأديبياً (وهو الضرب الذي لا يجرح ولا يخرج دماً ولا يترك أثراً) ؛ فإن لم يجد الضرب معه نفعاً ، ولم يمتنع عن عصيانه تركه وحيداً مهملاً) كي لا يزداد جرأة على العصيان ، وقابله بوجه عابس مكفهرّ ، كي لا ينسى سوء عمله ، كما يجهد أن يخفي عنه أي بادرة عطف . وفي جميع هذه الحالات عليه أن يخفف من علاقته وعطفه الأبوي نحوه[١] .

أيّهما أولى : المودّة أم النهي عن المنكر ؟

أشرنا قبلاً إلى هذا الموضوع ، ونعود الآن للحديث عنه بعبارات أخرى نظراً لأهميته .

الأمور التي يبرز فيها تضارب بين المودة والنهي عن المنكر . . أيّهما أجدر بالتقديم ؟ .

---

(١) من كتاب (حياة فاطمة الزهراء (ع)) ص ٢١٦ ـ ٢١٩ .

مثلاً : سيّد واجب التكريم من نسل فاطمة الزهراء(ع) ، محتاج إلى الملابس ، غير أنه لا يصلّي ، وسيّان عنده كسوناه أم لم نكسه فلن يصلي ، لأنه ليس من المصلّين ، ففي هذه الحال يجب إكرامه ، ويجب أن تبقى المودة نحوه على حالها .

إن كان للنهي تأثير فهو المقدم

أما لو احتملنا أن النهي يمكن أن يترك لديه أثراً ، فإذ ذاك تلزم مراعاة أول مراتب النهي عن المنكر ، أي أن نبدأ معه بلسان حلو رقيق ، أي أن التشويق والترغيب ينزلان إلى الساحة إن كانا مؤثرين ولا يتعارضان بأي وجه مع دواعي الإكرام والمحبة ، فنكون قد أصبنا هدفين بطلقة واحدة : فمن جهة تم النهي عن المنكر ، ومن جهة أخرى روعيت الإرادة الطيبة والمودة نحو الذرية الطيبة .

أما لو لم يتأثر بأي وجه من الوجوه ، فما الفرق إن كنّا أكرمناه أم لم نكرمه ؟ أو احترمناه أم لم نحترمه ؟ . . لذلك قلنا إنه يجب في هذه الحال إكرامه ، ويجب أن تبقى المودة نحوه على حالها .

وكم يكون الأمر مرضياً لو أنه أدرك أن تكريمنا له إنما هو تكريم للنبي (ص) ، فيخجل ويتنبّه .

وفي حال كان لمنع الإحسان عنه تأثير يدفعه إلى الصلاة ، فإن النهي مقدم طبعاً ، وعليه ـ في سبيل صلاح نفسه ـ أن يصبر على ذلك لعله يترك المنكر .

والحقيقة : ففي منع الإحسان عنه إحسان إليه .

اللين أدعى لإعادته إلى الجادة

ولكن . . قليلاً ما يتّفق أن سيّداً يتنبّه عن هذه الطريق ، فقد سمعتم أن

لقمة خبز تعطى لتارك الصلاة تعدل تخريب الكعبة ، من حيث كونها عوناً له على ترك الصلاة . أما لو لم تشكل فرقاً لديه ، فسيّان أطعمتموه أم لم تطعموه فلن يكون من المصلين ، لذا فليس الإحسان إليه في هذه الحالة محرماً .

وغالباً ما يكون الإحسان سبباً للهداية ، فقد ورد في الحديث المتقدم عن السيد أبي الحسن أنه كان قبلاً يشرب الخمر ، ولم يترك إعراض أحمد بن إسحق عنه أثراً لديه ؛ لكنه حين علم بأمر الإمام (ع) بوجوب رعاية نسبه إليه ووجوب احترامه ، تنبه للأمر وأقلع عن تعاطي ذلك المنكر حتى آخر حياته ، بل إنه أصبح من الصلحاء كما مرّ[1] .

تخلّص من الحجاب الذي يحجب الحقيقة عنك

ما هو الحجاب الذي يمنع رؤية الحقيقة ؟

أشرت في أحاديث سابقة إلى أن هذا الحجاب هو نفسك . فلو استطاع إنسان أن يخفف منه شيئاً فشيئاً حتى يزيله فقد بلغ كامل سعادته . إنه حجاب قلبه ونفسه كذلك ، حجاب الأنانية والغرور الذي يمنعه عن رؤية الحق ، فإذا ازداد قوة رأى أن نفسه هي الحق ، فيقول : أنا الحق ! وكل من تبعني فهو الحق كذلك ! وكل ما هو لله يتوهمه لنفسه .

المرء الذي يعبد هواه يزداد حجابه غلظة حتى يصل حداً لا يرى فيه إلاّ مصلحته ، ويستحيل على شخص كهذا أن يعرف الإيمان القلبي ، فإيمان قلبه هو نفسه « ولا يرى إلاّ نفسه » ؛ كالشيطان إذ قال : « أنا خير منه » إي أنا خير من آدم .

فلوْ أراد أن يكبح ـ يوماً ـ رغائب نفسه وشهواتها فعليه أن يقلل من الاهتمام بنفسه ، وعندها يزداد ارتباطه القلبي وإيمانه بربه .

---

(١) من كتاب (حياة فاطمة الزهراء (ع)) ص ٢٤٢ ـ ٢٤٤ .

في السورة المباركة (الشمس) ، وبعد أربعة عشر قَسَماً ، يقول تعالى ما مؤدّاه : إن الفوز والفلاح حقاً هو نصيب من طهّر نفسه[1] . ورقّق هذا الحجاب حتى أزاله[2] .

كونوا روحانيين تصبحوا من العرفاء

ورد في كتاب (منية المريد) للشهيد الثاني عن المسيح (ع) أنه قال : ليس العلم في السماء فينزل إليكم ، وليس في جوف الأرض فيخرج إليكم ، إنما العلم يكمن فيكم . (هو العين في قلب ابن آدم ، إنما يلزم رفع الحجاب والمانع عنها . فلو كانت هناك عين ماء يغطيها التراب والقش والحجارة ، فيجب أن تزاح هذه الموانع حتى تجري العين بالماء) .

لذا فهو (ع) يقول : كي تنال العلم ، عليك أن تتأدب بآداب الروحانيين[3] .

أي : طالما كنت تقتفيّ أثر الأفراد الماديين غير الروحانيين ، فإنك إنما تبتعد عن العلم العائد لعالَم المعنى والحقيقة والروحانية . فانزع الحجاب ، وتأدب بآداب أهل المعنى ، وعندها ينكشف لك العلم[4] .

يتخلّى عن سدّة التدريس لغيره

المرحوم آية الله السيد حسين كوه كمري ، كان من أكابر العلماء والمراجع ؛ وقد توفي في النجف الأشرف سنة ١٢٩١ ؛ وكان من تلامذة صاحب الجواهر وصاحب الفصول .

---

(١) ﴿ قد أفلح من زكّاها ﴾ سورة الشمس (٩١) : الآية ٩ .

(٢) من كتاب (التوحيد) ص ٨٦ .

(٣) « ليس العلم في السماء فيتنزّل إليكم ، ولا في الأرضين فيخرج إليكم ولكنه مجبول في نفوسكم ، تأدبوا بآداب الروحانيين تجدوه » .

(٤) من كتاب (التوحيد) ص ١٠٨ .

يروى أنه قدم إلى النجف الأشرف وكانت له في مسجد العمران هناك حوزة دراسية ممتازة .

اتفق له في أحد الأيام أن وصل إلى المسجد قبل وقت التدريس ، وطلّابه لّما يحضروا بعد ؛ ورأى في إحدى زوايا المسجد شيخاً أشعث الشعر يلقي درساً على بعض الطلاب ، فأنصت إليه ، وما لبث أن أعجب بصواب تحقيقاته .

وفي اليوم التالي تعمّد السيّد الحضور إلى المسجد مبكّراً ، وجلس ينصت إلى المحاضر ، وبعد أن كرر ذلك لعدة أيام أيقن أن هذا الشيخ أفضل منه في العلم والبيان ، وقد استفاد من دروسه أشياء كانت جديدة عليه . وعرف بعد التحقيق أن هذا الشيخ هو الشيخ الكبير مرتضى الأنصاري ، وكان قد عاد لتوّه من سفر امتدّ لأربع سنوات في إيران ، وهو يحمل ثروة هائلة من العلوم تلقّاها عن الحاج ملاّ أحمد النراقي .

وعندما اجتمع السيد إلى طلابه قال لهم : إن الشيخ الأنصاري أفضل مني وأقدر ، فلو تلقيتم عنه دروسكم لكان أكثر نفعاً لكم ، وأنا بدوري سأستفيد منه ؛ فمن اليوم فصاعداً يحسن بنا جميعاً أن نجلس منه مجلس الطلاب من أستاذهم .

ومذ ذاك أخذت شهرة هذا الشيخ بالازدياد حتى غدا مرجعاً عاماً ، ونال لقب أستاذ المتأخرين . وكان الشيخ يهتم بالسيّد ويجلّه ، وينقل إليه معلومات قيّمة ، وبعد وفاة الشيخ سنة ١٢٨١ عادت سدة التدريس إلى السيد حسين[١] .

أهل العلم يعرفون أن من كان أستاذاً وصاحب حلقة للتدريس ، ومقام

---

(١) من كتاب (العدل الإلهي) للمرحوم الشهيد مرتضى المطهري . طبع الدار الإسلامية ـ بيروت .

مرجعيّ ، إذ ينصف فيجعل من تلميذ له نـدّاً ، فيساوي تلاميذه بنفسه ، ويتخلّى عن موقع الرئاسة ، كم يكونِ صاحب إيمان قوي صادق ! فقد جانب هوى نفسه ، واختار رضى ربّه .

وعليه ، فلو خلص العمل من هوى النفس ، لكان طلب العلم من أجل الله ، وخدمة خلق الله حقاً ، فهذا علم الطب والتشريح وقد أتى بالنور ، وأين هو من علم التوحيد والفقه ؟ .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سعادة في الدنيا وضمان للآخرة

من المقطوع به أن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقود إلى تأمين سعادة الدنيا والآخرة ، ورسول الله (ص) يقول : طالما أمر المسلمون بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ودعموا جهود المخلصين فهم السعداء . فإن تخلّوا عن هذا العمل رفعت عنهم البركة ، وسُلّط عليهم غيرهم ، وإذا ذاك فلن يكون لهم معين في الأرض ، ولا مدد من السماء .

من يحقق في وضع مسلمي العالم في منتصف القرن الرابع الهجري بدقة ، ويرى إلى أنواع البلاء والمصائب التي استهدفتهم وأحاطت بهم ، يدرك كيف انقلب المسلمون أذلّاء خاضعين للأجانب ، يقادون بالأيدي ويركلون بالأقدام ، وقد حقت عليهم كلمة رسول الله (ص) ، فلا عون ولا معين ، بعد أن أسلم المسلمون شؤونهم ـ بلا تردد ـ إلى الآخرين ، وتخلّوا عن أركان التقدم الثلاثة : الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والشأن الاجتماعي ؛ فوقعوا أسرى هذا المصير التعس .

أُورد رواية هنا يرميها البعض بنظرة تعجّب ، غير أنها واقعيّة :

عن رسول الله (ص) : أن أعمال الخير ـ قبال الجهاد في سبيل الله ـ أشبه باللعاب قبال أمواج البحر ؛ وأن أعمال الخير والجهاد كليهما ـ قبال الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر ـ أشبه باللعاب إذا غاب بين الأمواج .

كانت هذه الرواية مدعاة للتعجب ، في حين أنها واقع وصدق . ذلك أن أعمال الخير إنما تأتي على أثر الجهاد ، إذ فائدة الجهاد أنه يبسط دعوة الدين ، وبقاء الدين على مرّ الأزمان والعصور إنّما هو رهن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فحسب ، ومن هنا تتضح حقيقة الحديث القائل : « مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء » . ذلك لأن الشهيد يقيم كيان الدين ، ومداد العلماء يحفظه ويصونه ؛ ولولا مداد العلماء لضاعت جهود الشهداء ، في خضم إشكالات روحية واجتماعية ، على طول الزمان .

الظالمون لأنفسهم والمقتصدون ، والسابقون بالخيرات

لتبيان المقصود ، نكتفي بإيراد آية واحدة من القرآن المجيد ، مع تفسير لها ورد عن الإمام (ع) :

تقول الآية : ﴿ **ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات ، بإذن الله** ﴾[1] .

أي أن الله تعالى أورث الكتاب (القرآن) لأناس اصطفاهم من عباده . غير أن منهم من ظلم نفسه ، ومنهم المعتدل المتوسط ، ومنهم السابق بفعل الخير . وبعبارة أخرى : أصحاب الشمال ، وأصحاب اليمين ، والسابقون .

قيلت في هذه الآية شروح متعددة ، واحتُملت لها وجوه مختلفة ، والكثير منها صحيح .

ومحل شاهدنا رواية وردت في معاني الأخبار عن الإمام الصادق (ع) في تحديد الظالم والمقتصد والسابق ، قال (ع) :

---

(١) سورة فاطر (٣٥) : الآية ٣٢ .

« الظالم من يحوم حوم نفسه ، والمقتصد من يحوم حوم قلبه ، والسابق بالخيرات من يحوم حوم ربّه » .

أما الظالم لنفسه : فهو من يسعى دوماً وراء شهوات نفسه ، فمعبوده نفسه ، وما مالت إليه نفسه قدّمه لها بالغةً قيمته ما بلغت . فهو ذليل أمام رغائب نفسه ، يهوي إلى الخيانة ليصل إلى رغبته ، إنه من طلاب المقام والرئاسة ، سيان كانت الرئاسة في أهل العلم أم في غيرهم ؛ فهو يحوم حول هذه الرغبة ، وهمّه وخضوعه مكرّسان لرغبة نفسه تلك ، بدل أن يكرّسهما لربّه ، وينحصر كل همه في أن يبني قصراً ، أو أن يمتلك سيارة من أحدث طراز .

نحن - بالطبع - لا ننكر على الناس امتلاك بيت أو وسيلة عيش ، كما أننا لا ننكر الاهتمام بالمشاغل والمقامات الحكومية ، التي هي واجب كفائي ؛ إنما نقول : لا يجوز أن نتّخذ هدفاً أساساً غير الله . وينبغي أن تكون هذه الأمور مجرد وسيلة فحسب ، لا أن تكون هدفاً وغاية .

إن طلبت نفسك سدّة رئاسة فلا تطعها ، أما إن عُرض عليك منصب فيه صلاح للمسلمين وأنت له أهل ، فعليك بقبوله وتحمّل مصاعبه . وإن التفّ أناس حول أحد المجتهدين ، ورغبوا إليه أن يتقدم برسالة كي يقلّدوه ، فقبوله أمر حسن ؛ أما إن كانت نفسه ميّالة إلى المرجعيّة ، فعليه أن لا يقدم ، وأن لا يقبل الأفضلية ، وإلاّ انقلب الأمر إلى عبادةٍ للنفس .

مرجعيّة شيخ العلماء والشيخ الأنصاري

يروى أنه بعد موت الحاج ميرزا حسن ، شيخ العلماء ، في النجف الأشرف ، أقبل علماء وأفاضل الحوزة الدراسية إلى المرحوم الميرزا محمد تقي الشيرازي وتداولوا معه في شأن وفاة الحاج ميرزا حسن ، وأبدوا له اجتماعهم واتفاقهم على أعلميّته ، وطلبوا منه تقديم رسالته للعمل على نشرها .

فما كان منه إلاّ أن قال : عجباً ! وهل بلغ القحط بالرجال هذه

الدرجة ؟ ووصل الأمر إلى القول بأعلميتي أنا ؟! أمّا إن كانت الضرورة تقضي ـ كما في أكل الميتة ـ فلا مانع عندي من نشر رسالتي .

وبعد موت الشيخ صاحب الجواهر ، أتى كبار أهل النجف إلى الشيخ مرتضى الأنصاري يقولون : أنتم الأعلم بشهادة الجميع . وأنتم الأجدر بمقام المرجعية ؛ فأعطونا رسالتكم نقم بنشرها .

فقال : كان لي في أيام دراستي زميل باسم سعيد العلماء المازندراني ، وكان أكثر اجتهاداً وتقدماً مني ، فاذهبوا إليه .

قالوا : إن سماحته من مازندران ، وطريقه بعيدة .

قال : الكلام هو ما قلته ، فهو مقدّم علي ، ولا يليق بي أن أعطيكم رسالتي وهو موجود .

فاضطروا للذهاب إلى سعيد العلماء ، لكنه أجابهم بقوله : كلام الشيخ صحيح . نعم ، كنت متقدماً عليه أيام دراستنا معاً في النجف ، وبعد عودتنا إلى إيران توقفت أنا ، بينما استمر هو في دراسته ؛ لذا فالشيخ هو الأحقّ .

فعادوا ونقلوا إلى الشيخ الأنصاري ما جرى معهم فقال : حسناً ، طالما شهد سماحة سعيد العلماء ، فلا مانع من إعطائكم رسالتي .

ما أردت قوله : هو أني لا أنكر إعطاء الرسالة ، لكني أنكر إعطاءها من جهة تقديم النفس . فهو لم يكن يريد المرجعية لذاتها ، ولو صبت إليها نفسه فهو إذاً : ظالم لنفسه ؛ أما إذا يسّرها الله له ، فهذا سبب إلهي هيأه له ، كي يستطيع أن يفوز منه ـ من أجل آخرته ـ بنصيب .

والأمر كذلك فيما يعود للمناصب الحكومية : كرئاسة الجمهورية ، ورئاسة الوزراء ، والنيابة والوزارة ، والإدارة العامة ، وأي منصب آخر ؛ فيلزم فيها عدم السعي وراء ميول النفس . أما لو كان الإقدام من أجل إصلاح أمور المسلمين فهو حسن ، فإن موجب « ظالم لنفسه » هو السعي وراء ميول النفس

الانقياد لها ؛ وهي حالة عبّر عنها أحد أهل العلم بقوله :

« إيَّاك أن تقدّم نفسك ؛ أمّا إن قدّموك فإيَّاك أن تزهو بنفسك » .

أفضل الأعمال تغدو باطلة إن شابها « حَـوم نفسه » ولـو بقدر بسيط ، إذ عندما تخدع المرءَ نفسُه ، فقد وقع في تأليه النفس ، واقتنع بصـواب ما يعمله دون أن يدرك حقيقة نفسه ؛ فإذا ما بلغ مرتبة الـ « ظالم لنفسه » فلن يكون لـه نصيب من عوالم القلب ، فهو قد حرم من الإيمان ، ومن شرح الصدر ، ومن التصـديق القلبي ، ومن السكينة والنفس المـطمئنة ، والكمـالات الإنسانيـة ، مَن جعل نفسه من أولي العلم ، فلا يعود له في عالم النفس أي أثر .

وأما المقتصد : فهو الذي « يحوم حوم قلبـه » وعرف من معنى حجـاب نفسه أن الفكرة هي التـزكية ، لأن حجـاب النفس مانـع عن تنـويـر القلب ، أو بالتعبير الذي أوردته : « يمنع الغذاء عن نفســه ، ويجتنب إطاعـة نفسه ، كي لا يغدو حجابه أكثر غلظة وظلمانية » .

عن أميــر المؤمنين (ع) : « إن المؤمن يصبـح ويمسي ونفســه ظنــون عنده ، فلا يزال ضارياً عليها ومزيداً لها » .

أي أن المؤمن في سعيه لتزكية نفسه لا يني صبـاح مساء عن سـوء الظن بها ، فحواسّه متيقظة إلى أن الشيطان والنفس يخدعانه كي لا يطهّر قلبـه ، إنه يسيء الظن بنفسه فيجهـد في كل عمـل يعمله أن لا يخالط نيّتـه الخلل ، فهو دائماً يقسو على نفسه ويجاهدها ويمعن في مجاهدتها[1] .

رمال الصحراء وعجز المعتدي آية حق

سمعنـا كلنا بنمـوذج من هذه الحـوادث في فشل التـواطؤ الأمـريكي في صحراء طبس ، فأي سبب ظاهري يمكن أن نعـزو إليه مـا جرى لإحـدى قوى

(١) من نهج البلاغة ـ عن كتاب التوحيد ص ٦٤ ـ ١٥٤ .

العالم العظمى ، مع تلك الوسائل والأجهزة ، ومع التدريبات الجثيثة ؛ إذ فعلت بها عواصف الرمال ما فعلته الطير الأبابيل بأصحاب الفيل ؟ .

فهذه الحادثة التي وقعت لأمتنا ، ألا يلزم أن يتّضح منها « أنَّه الحق » ، وأن قدرة غيبية إلهية ، كانت هي العامل المؤثر لا غير ؟ وحيث كان هذا العامل فهو بمشيئته وإرادته كذلك ؟ .

أم تلك الحرب المفروضة ، والتي مرت بطور أوحى بأن أسبوعاً واحداً كان كافياً لإنهاء كل شيء ، وكانت هناك ـ كما يظهر ـ أسباب مساعدة ، إذ كانوا مطمئنين مئة بالمئة ، وإلاَّ لما أقدموا على عمل كهذا . . وها قد مضى ما يقرب من سنة[1] ، كانت خلالها كل القوى والدول المجاورة تقدم الدعم للمعتدي ، في حين لم تقدم للطرف الآخر ـ كما يبدو ـ أي مساعدة .

أم أولئك الذين هم في جبهة الحرب ـ وكما نقل إليّ مراراً ـ فممّن يتلقون العون ؟ من المسلّم به أن قدرةً غيبيّة تقدم العون لجنود الإسلام . وهي القدرة نفسها التي هيأت للأمة الإيرانية النصر ـ بأيدٍ خالية ـ على النظام البهلوي .

املأوا أفواه المتملقين بالتراب

الثناء على المخلوق غلط ، أي الثناء الذي يوحي باستقلالية المخلوق ؛ فإذا نال أحدهم نصيباً من العلم ، أثنينا عليه ومدحناه ، كما لو أن أحداً غيره لم يكن له يد في هذا العمل ! فالعلم المطلق هو لله ، وكل العلوم تعود إلى الله ، محمد (ص) تعلّم بعين الله فالله سبحانه هو الذي وهبه العلم[2] ، نعم ، يحسن هذا الثناء من جهة العطاء الإلهي ، لذا ورد النهي عن مديح الشخص ، وخاصة بحضوره .

---

(١) في الوقت الذي ألقيت فيه هذه المحاضرة (م) .

(٢) ﴿ علّم الإنسان ما لم يعلم ﴾ سورة العلق (٩٦) : الآية ٥ .

وكما في الحديث الشريف : « فضّوا التراب على وجوه المدّاحين »[1] .

أقول للأشخاص الذين ينظمون الشعر ويدبّجون مقالات التملق للحكام والسلاطين : من هم أولئك الذين تكيلون لهم المديح ؟ في حين لا نرى منكم ثناء لمن يستحقه ؟! .

ورد في نهج البلاغة في خطبة همام ، عن صفات المتقين : « إذا زكّي أحد منهم خاف مما يقال له » .

أي : إن التقي من شيعة علي (ع) ، هو من إذا مدحته خاف من مديحك له ، خشية أن يكون تصديقه خروجاً منه عن التوحيد ، إذ لا ينبغي أن يكون خطأ ـ يصدر عن أحد ـ مورداً لتصديقنا ؛ وحتى لو كان هناك من شيء . . فهو من عطاء الله ؛ لذا فالجدير بالثناء هو الله ؛ فلو كان عندي فهم أو علم أو مقدرة فهي كلها من عطاء الله .

وقد نوّهت مراراً بأنه لو تعرض شخص لمرض ـ لا سمح الله ـ وفقد ذاكرته ، لأدرك عندها إن كان لديه علم أم لا ، إذ يصل به الأمر حداً لا يعرف معه الطريق إلى بيته ، بل وينسى اسم ولده . وقد شهدنا نظير هذا الشخص ، وقد راح إلى رحمة ربّه ؛ كان لخمسين سنة يدعو ابنه باسمه ، ثم نسيه بالمرة ، ولم يستطع تذكره رغم ما بذله من جهد ، بل حتى أنه نسي اسمه الذي ردده خمسين عاماً !! فلما فقد ذاكرته فقد كل شيء .

الحرص على التوحيد الصفاتي

لذا يقولون : إن رأى المادح أن ممدوحه جدير بالثناء على أساس الاستقلال فقد ابتلي بالشرك في مرتبة الصفات ، وكذلك الأمر مع الممدوح

(١) بحار الأنوار : المجلد ١٥ .

والمستمع للمديح ، فلو اعتقد الاستقلالية كذلك ، ورأى جدارته على هذا الأساس ، فهو أيضاً مبتلى بالشرك في الصفات .

إذاً ، فالتوحيد في الصفات هو أن نرى أن جميع المحاسن والكمالات هي من الله ، وأن كل كمال ، وحتى كمالات البشر المكتسبة ـ هي أيضاً من الله ؛ وأن كل جمال هو من الله ؛ حتى وجوه الجمال الاكتسابية . لذا فالأمر جدّ دقيق ، وكثيراً ما يتّفق لشخص ـ وهو غافل ـ أن يقع أسير مرتبة من الشرك ؛ وما لم يدرك أن نفسه وجميع الآخرين هم في حالة عجز وعدم فلن يعرف الله ، والجمع مستحيل . . فإما أن يكون الوجود منّي !! أو يكون من الله ، حتى يرى بقلبه أنه لا يرى أحداً سوى الله[1] .

اللهم احفظنا جميعنا من مراتب الشرك جميعها[2] .

علامة الإخلاص الحذر من كل معصية

عن الإمام (ع) : « من شهد أن لا إله إلاَّ الله خالصاً مخلصاً وجبت له الجنة ، وإخلاصه أن يحجزه (لا إله إلاَّ الله) عمّا حرّمه الله »[3] .

التعبير في الرواية هو : « من شهد » ولم يقل : (من قال) (من قال لا إله إلاَّ الله) إنّما « من شهد » ، والشهادة من الشهود ، وتصل إلى مرتبة الرؤية ، يجب تحرّي الدقة في كلمة « شهد » لأن من بلغ في التوحيد درجة العلم والشهود وهو مخلص ، وهو يعرف أن الله منزه عن كل نقصان ؛ ويعرف نفسه مخلصاً في عبوديّته « خالصاً مخلصاً » فقد وجبت له الجنة .

وبعد ذلك ، فلكي يكون الأمر واضحاً ، استطرد (ع) بقوله : إن علامة الإخلاص هي أن يحجزه التوحيد عن كل معصية ، إذ كيف يرتكب المعصية

---

(١) عن الصادق (ع) : « القلب السليم : الذي يلقى ربّه وليس فيه أحد سواه » . (م) .
(٢) من كتاب (التوحيد) ص ١٨٨ ـ ١٩٠ .
(٣) أصول الكافي : كتاب الذكر .

من شهد حضور الحق ؟!(1) .

يقابل السوء بالقول الحسن

أحد بني عمّ الإمام السجّاد (ع) واجهه ـ في حضور أصحابه ـ بكلمات حادّة تخالطها الإهانة ، فقابله الإمام (ع) بالسكوت ، وكذلك فعل أصحابه إذ لاحظوا سكوته (ع) .

ولما كان من الغد قال (ع) لأصحابه : قوموا بنا إلى بيت ابن عمي . وهكذا قدم (ع) مع أصحابه ، فلما رآهم ابن العم خشي أن يلقوه بالأذى ، لكنّ الإمام (ع) بادره بالقول : يا بن عم . . ما قلته عني بالأمس ، لئن كان فيّ ، فأذهبه الله عني ؛ وإن لم يكن فيّ فأسأل الله أن يغفر لك .

فأقبل العلويّ عليه يقبل وجهه ويديه ، ويسأله المعذرة عن فعلته(2) .

تلك هي طريق العبودية لمن أراد القدوة ، وتلك هي الرياضة ، وليست الرياضة الشيطانية الباطلة .

إن أراد المرء أن يكون من رجال الله فعليه أن يمارس رياضة كهذه ، أن يروض نفسه على التغاضي عن الفحش ، ومقابلة السوء بالقول الحسن ، فإنه بعمل كبير حافل بالقدر كهذا ، يسمو عن التراب . كطفل قطع في ليلة مسيرة مئة عام ؛ فإن في كفّ النفس قدراً يرقّق غلظة الحجاب .

اسأل عما جهلت . . تفهم

ثلاث وصايا في باب كسب العلم ، يقول :

أولها : أن تسأل العلماء عما جهلت ، كي لا تبقى على جهلك ، لأن

---

(1) من كتاب (التوحيد) ص ٢٧٩ .

(2) من سفينة البحار . باب المكارم .

الجهل مع عدم السؤال يبقيان المرء جاهلاً . وإن كان جهله في العقائد ، بقي في شبهة تترك آثارها ـ لا سمح الله ـ على إيمانه ، وتفسد أصول اعتقاده . والخلاصة هي أن الحياء والخجل في السؤال أمر غير مستحسن ، إذ « لا حياء في الدين » .

وثانيها : أن يكون السؤال بغرض الاستفهام والمعرفة ، فإن حدث أن خطر لك سؤال ، فقصدت العالم تريد امتحانه على أن تعمل برأيك ، فهذا يزيد الإشكال ، إذ لا خير في التعنّت ، وليكن السؤال للفهم ليس إلا .

وثالثها : ألا تعمل برأيك في كل ما تتوهمه ، وخصوصاً في العقائد ؛ بل عليك بالاحتياط ما وسعك ، ولتهرب من الفتيا كما تهرب من الأسد ، ولا تجعل رقبتك جسراً يعبر عليه الآخرون[1] .

يجب الاحتياط في الإفتاء ما أمكن ، سواء في الفتوى أو في الحكم ، وليس لامرىء أن يقول ـ قال الحاكم مبسوط اليد بشرائطه : رأيي ، إذ لا حقّ له في العمل برأيه فالعمل بالرأي موجب لهلاك النفس وهلاك الآخرين ، نظير

---

(١) قلت يا أبا عبد الله أوصني . قال :

« أوصيك بتسعة أشياء ، فإنها وصيتي إلى مريدي الطريق إلى الله : ثلاثة منها في رياضة النفس ، وثلاثة منها في الحلم ، وثلاثة منها في العلم .

أما اللوائي في الرياضة : فإياك أن تأكل ما لا تشتهيه ، فإنه يورث الحماقة والبله ؛ ولا تأكل إلّا عند الجوع ؛ وإذا أكلت فكل حلالاً وسمّ الله تعالى ؛ واذكر حديث رسول الله (ص) :

« ما ملأ آدميّ وعاء شراً من بطنه ، فإن كان ولا بدّ فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » .

وأما اللوائي في الحلم : فمن قال لك : إن قلت واحدة سمعت عشراً فقل : إن قلت عشراً لم تسمع واحدة ؛ ومن شتمك فقل له : إن كنت صادقاً فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لي ، وإن كنت كاذباً فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لك ؛ ومن وعدك بالخناء فعده بالنصيحة والرعاء .

وأما اللوائي في العلم : فاسأل العلماء ما جهلت ، وإياك أن تسألهم تعنّتاً وتجربة أن تعمل برأيك ؛ وخذه بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلاً ، واهرب من الفتيا هربك من الأسد ، ولا تجعل رقبتك للناس جسراً » .

عن بحار الأنوار : المجلد الأول

إبليس إذ أعمل رأيه قبال أمر الله بالسجود لآدم فقال : أنا خير منه إذ خلقتني من نار وخلقته من تراب[1] .

وإلى هنا ينتهي الحديث . وفّقنا الله للعمل بموجبه .

عدم المسؤولية مذموم

ليست هذه الأمور ـ بأي وجه ـ مورد نهي أو مذمة، إنما هي ـ كلها وضمن شروطها ـ مستحسنة ومورد أمر تشريعي إلهي ؛ أما المذموم وغير المستحسن ، والذي يقع مورد النهي فهو عدم المسؤولية وعدم الالتزام ، أي عدم مراعاة الحلال والحرام في هذه الأمور ، فإن أصبحت هذه الأمور مورداً لعلاقة وارتباط قلبي للشخص ، بحيث يعرف أنها هدف من أهداف الخلق والإبداع ، وبقي غافلاً عن محبة الله والآخرة ، وعن الكمالات الإنسانية ، فهي من الأمور غير المرضيّة .

وحين تكون رغائب القلب مقتصرة على المادّيات ، وهي في نظره مهمّة وحقيقية ، وتكون آخرته بالمقابل نسياً منسيّاً وقليلة الأهمية ، أو أنه ـ لا سمح الله ـ واقع تحت الشك والوهم إلى حد أن سعادته مرهونة بالوصول إلى تلك الشهوات ، وسعادته مرهونة بحرمانه منها ، فهذا هو المذموم ، وهو موجب للتوبيخ والعقاب ، إذ هو مرتبط بحالة الإنسان نفسه تجاه هذه الأمور[2] .

أبغض الأعمال : الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف

عن الإمام الصادق (ع) : حضر رجل من خثعم إلى رسول الله (ص) وسأله : ما هي أفضل الأعمال في الإسلام ؟ .

قال (ص) : الإيمان بالله .

---

(١) من كتاب (التوحيد) ص ٣١٢ ـ ٣١٥ .

(٢) من كتاب (التوحيد) ص ٣٥٣ .

قال : وماذا بعد ؟ .

قال (ص) : صلة الرحم .

قال : وبعد صلة الرحم ؟ .

قال (ص) : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ثم قال : أي الأعمال أكثر بغضاً عند الله ؟ .

قال (ص) : الشرك بالله .

قال : وماذا بعد ؟ .

قال (ص) : قطع الرحم .

قال : وماذا بعد ؟

قال (ص) : الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف .

يستفاد مما تقدم أن الإيمان هو منبع الفضائل وأساسها ، وصلة الرحم تهب القدرة لواحدة من وحدات المجتمع ، وهي الأسرة أو القبيلة ، وتعمل على تقويتها . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينظم أفضل المجتمعات ويعطيها القوة كذلك .

يقول الحسن (ع) : خطب أمير المؤمنين (ع) يوماً ، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال : إن الأمم قبلكم هلكوا لأنهم تلوثوا بالآثام ، ولم يردعهم وعّاظهم وروحانيّوهم عن المنكر ، فغرقوا في المعاصي ، وابتلوا بالجزاء الدنيوي .

فعليكم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإنّهما « لا يقرّبان من أجل ولا ينقصان من رزق » .

في قوله (ع) : إن روحانييهم ووعّاظهم لم يردعوهم عن المنكر إشارة إلى الآية الكريمة التي تقول عن اليهود : ﴿ **لولا ينهاهم الربّانيّون والأحبار**

عن قولهم الإثم وأكلهم السحت ، لبئس ما كانوا يصنعون ﴾[1] .

المنكر في النهي عن المكروه

من أعجب برأيه فهـو أحمق . وقد ورد في الـروايات أن عـلامة الأحمق هي إعجابه برأيه ، إذ يتوهّم أنه العارف الوحيـد ، ومهما رغبت أن تقـوده إلى الفهم والإدراك فلن يستمـع إليـك ، ولا إكـراه في العمـل ، فـالله يهـدي إلى الرشاد كي يبقى الإنسان ـ ليله ونهاره ـ على الصـراط المستقيم ، فلا يقـع في الخطأ ويتوهم أنه على الصراط ؛ فإذا ما وقع تبين له أنـه تجاوز المقصـد[2] . يريد ـ مثلاً ـ أن ينهى عن منكر فيقع في العديـد من المنكرات . قـل : اللهم اهدني .

مثـلاً : يرى مكـروهاً يـرتكب من أحدهم ، فينهـاه عن هذا المكـروه ، فيقع جرّاء ذلك في المحرّم ؛ يرى أحدهم يبول قائماً . فيقول له : لماذا تبول قائماً أيها الحمار الأحمق ؟! وما أكثر أولئك الذين يواجهـون القبلة إمّا لأنهم لا يعرفون القبلة وإمّا لأنهم يجهلون المسألة أصلاً . فعليـك إرشاد هـذا الجاهـل بلسان ليّن وليس بخشونة ، فإنك بهذا ترتكب حراماً ومنكراً ، لأنـك إنما تثيـر فضيحـةً لقـاء الإرشاد إلـى مسألة مجهولـة !؟[3] . ثم ما أدراك ؟ لعله يشكـو من ريـح في بطنـه فلا يستـطيع الجلوس كي يجتنب المكـروه . قـل لـه مثـلاً بلهجـة لينة : الأفضـل أن تجلس إن كان هـذا باستـطاعتك . أضف أنـه يتفق أحيـانـاً أن يعنف في الـرد عليـك ، وفي ذلـك ذنب أكبـر من الـذنب الـذي ارتكبه .

---

(١) سورة المائدة (٥) : الآية ٦٣ .

(٢) ﴿ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ﴾ سورة الكهف (١٨) : الآية ١٠٤ .

(٣) ﴿ فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذكّر أو يخشى ﴾ سورة طه (٢٠) : الآية ٤٤ .

عابد وفاسق يتبادلان موقعيهما

ورد في الرواية الشريفة أن شخصين حضرا إلى أحد المساجد ، كان أحدهما عابداً ، أما الآخر فكان فاسقاً . وحين غادرا المسجد كان العابد قد انقلب فاسقاً بينما انقلب الفاسق عابداً .

تقول الرواية : دخل الفاسق المسجد ، وما أن وقعت عيناه على العابد حتى غلبه الخجل ، وقال في نفسه : يا إلهي . . كيف أجلس قرب الصلحاء وأنا بهذا الوجه الأسود ؟! وأحسّ بانكسار حقيقي هو التوبة بعينها ، وبقلب مفعم بالخجل والندم جلس إلى جانبه .

أمّا العابد المنكود ، فما أن رأى الفاسق حتى تغيّر لونه وقال في نفسه : لا ينبغي لمثل هذا أن يجلس قرب من هو مثلي ! فهو قد غلبه العُجب ، ورأى بعين الوهم أنه ذكر مسألة تقرّبه من عتبات العرش ، في حين أن المعرفة إن رافقها الانطواء فلا قيمة لها .

هل تجد في نفسك (أيها العابد) أثراً للعبادة الحقّة المقبولة من هذا العرش ؟! أو بقول الشيخ : هل لديك ـ طوال عمرك ـ أثر لسجدة واحدة حقيقية ، أو أثر لركعتين مع حضور القلب ؟! بل عندك ـ بحدّ ذاتك ـ من المعاصي القلبية ما لا يقلّ عن المعاصي الجسدية ! .

أمّا هذا الذي خجل الآن من معاصيه ، وغلبه الحياء أمام عرش الله ، فقد تولّاه الندم وتاب ؛ بينما وقعت أنت في المعصية ، وغلبك الغرور !![1] .

النهي عن المنكر أهم

إذا اتّضح هذا الأمر يعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

---

(١) من كتاب (العبودية سرّ الخلق) المجلد الأول ص ٢٢٦ ـ ٢٢٨ .

ـ بمقتضى نصوص الآيات والروايات ـ هما من الواجبات الإلهية المهمّة ، ولا شك في تقدّمهما إذا تزاحما مع بعض الحقوق الواجبة .

مثلاً : لو كان الأب أو الأم أو الولد أو سائر الأقارب غير مصلّين ، أو يرتكبون المعاصي ، وكان حالهم بحيث إن لم يحسن إليهم أو يساعدهم عند الضيق ، امتنعوا عن عمل القبيح ، أو صاروا من المصلّين ، ففي هذه الصورة يجب ـ من باب النهي عن المنكر ـ أن يحجب الإحسان والمساعدة عن رحمه ، ومثل ذلك في حالة سيّد يتعاطى الشراب إن كان في حبس الإحسان عنه رادع له عن فعلته .

وبنحو عام : إن كان حجب الإحسان نافعاً وجب ذلك ، أما إذا كان حجب الإحسان لا يفيد في تنبّه الطرف الآخر ، وكان غير مستعد لترك المعصية ، فإن حرمة الإحسان وتقديم المعونة غير معلومة . ذلك أن تقديم المعونة للعاصي كان حراماً إذا كان بنحوٍ لو لم يعنه لاجتنب المعصية ، (أي من باب النهي عن المنكر) أما لو كان تقديم المعونة وعدمه ، والإحسان وعدمه ، سواءً في إصراره على المعصية فالحرمة (من باب النهي عن المنكر) ساقطة ، ولا يعلم أنه حرام من جهة أخرى .

مثلاً : حرمة مساعدة تارك الصلاة ـ التي تقدم الحديث عنها ـ إنما هي في صورة ما إذا كان حجب المساعدة سبباً في التزامه بالصلاة . فلو كان أبواه أو أقرباؤه غير مصلّين ، ولو قطع الإحسان عنهم لبقوا غير مصلّين كذلك ، ففي هذه الصورة تبقى حرمة حجب المساعدة عنهم وحرمة العقوق على حالهما .

مراعاة المراتب يجب أن تكون (أمراً بمعروف)

لا يفوتنا القول : إن ما تقدم من أولوية حجب المساعدة والإحسان (من

باب النهي عن المنكر) على سائر الحقوق ـ مثل حق الرحم والسيادة والجوار وغيرها ـ إنما هي :

أولاً : وجود شرائط وجوب النهي عن المنكر ، ومن جملتها احتمال التأثير .

ثانياً : أن تكون المرتبة الأدنى من حجب المساعدة غير مفيدة ، ذلك أنه يشترط في النهي عن المنكر (على تفصيل سيأتي) مراعاة المراتب ، أي : نأخذ بالمرتبة الأسهل دون أن نتجاوز إلى المرتبة الأشد .

بناء عليه ، لو كان العاصي يتخلى عن المعصية بشكل أسرع إذا حجبنا عنه المساعدة ، فلا شك حينئذٍ في وجوب حجبها ، من باب النهي عن المنكر .

مثلاً : إن كان الأب أو الابن غير مصلٍّ ، ويحتمل من خلال الإحسان أن يصبح مصلياً ـ كما يحدث غالباً ، لأن الإنسان عبد الإحسان ـ ما دام الإحسان إليه مستمراً ، ففي هذه الصورة يجب الإحسان إليه ومعونته .

وخلاصة المطلب : أنه في حالة ما إذا لم يكن للإحسان والمعونة أي ارتباط بمعصية هذا الشخص وجوداً وعدماً واستمراراً ، فالحرمة غير معلومة ، إنما في بعض الموارد ـ حيث تكون تلك الحقوق مسلّمة شرعاً ـ يجب الإحسان والمعونة ، ويحرم تركهما[1] .

استحكام الفحشاء يقضي على الأسرة

يلاحظ في بعض الدول الكبرى أن الحياة الاجتماعية هناك قد تلاشت إلى حدّ كبير ، فألغيت مفاهيم كالرحم والأبوة والأمومة ، وعناوين كالأخوة والخؤولة والعمومة ، وحلّت محلها حرية الزنى والممارسات غير المشروعة .

---

(١) من كتاب (الذنوب الكبيرة) ج ٢ ص ٥٦ ـ ٥٨ طبع الدار الإسلامية .

قرأت في مجلة قبل سنوات أنّ خمسة آلاف طفل يولدون سنوياً في لندن ، عن طريق محرمة ! خمسة آلاف طفل مجهول الأب ، يتم تسليمهم إلى الدولة ! كان هذا قبل عشرين سنة ، أما الآن ، فلعل الرقم قفز إلى خمسين ألفاً !! لا أعلم . ويصبح أولاد الزنى من ذلك الزمان . . الرئيس الفلاني والوزير الفلاني !! وتصوروا ماذا ستنزله حفنة من أبناء الزنى على رؤوس هذه البشرية التعيسة !! .

ذكر لي أحد معارفي أن العادة جرت في الخارج على أن يوصي بعض أصحاب المليارات بأموالهم لكلابهم ! تعجبت من قوله وسألته : وهل لأولئك أبناء ؟ قال : نعم ، ومع وجود الأبناء يوصون بأموالهم لكلابهم ، لأنهم غير مطمئنين إلى كون أبنائهم من أصلابهم ؟! .

لذا ، فمن الأهمية بمكان أن يعرف المسلمون قدر أحكام الإسلام ، وأن يعملوا بها ، فإن للأقارب والأرحام ارتباطاً وثيقاً بكم ، فكلكم واحد ، وإنما انتظام دنياكم وأخراكم في صلة الرحم[1] .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مجلبة للعزة

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منجاة من الذلة ، ومجلبة للعزة .

عن الإمام الباقر (ع) : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مخلوقان إلهيان ، من رعاهما أعزّه الله ، ومن أهملهما أذلّه الله .

سبب العزة والذلة هاتين ، هو أن الناس يلتفّون حول من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وتتوفر له العزة باجتماعهم حوله . وأما من أهمل الأمر

---

(١) من كتاب (آداب من القرآن) ص ١٤ .

بالمعروف والنهي عن المنكر ، انقلب مذموماً مدحوراً ذليلاً . أليس الأعزّة في المجتمع إنَّما بلغوا العزة عن سبيل الأمر والنهي ؟ وأليس الذليل سوى الكسول المتردد الجانح نحو الراحة ؟! .

عن الإمام الثامن (ع) : « لتأمرنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر ، أو ليستعملنّ شراركم ، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » .

وطبقاً لهذه الرواية ، فإن إهمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يغري شرار المجتمع ـ إذ لا يرون من يقف في وجه مفاسدهم ـ بالتسلط على مقدّراته ، وتغدو مقارعتهم ـ في هذه الحال ـ عديمة الأثر ، لأن القوة غدت في أيديهم . وإذ ذاك ، فليس بمقدور أي دعاء ـ ومهما بلغ عدد الأخيار ـ أن ينقذ المجتمع ، لأن الله سبحانه لم يجعل نظام الكون موقوفاً على الدعاء ، بل جعل لكل أمر سبباً ، ولو شاء أن تستجاب كل الأدعية لأوجد عالماً آخر ، خارجاً عن نظام العلّة والمعلول .

كان سيّد الداعين ، رسول الله (ص) ـ إلى جانب الدعاء الذي يرفعه ـ يعمل ويعمل ، ثم يعمل .

يقول أحد المتكلمين : قام رسول الله (ص) ـ في حربه مع العدو ـ بجمع جند الإسلام وراء خندق ، ثم دعاهم ـ بعد ذلك ـ للقتال .

فقد قام (ص) بنفسه مع بطل الإسلام علي (ع) بحفر الخندق ، رغم المشاكل والصعاب ، وبعدها عزم المسلمون على مواجهة فرسان المشركين . .

إذاً ، فبعد أن هيأ رسول الله (ص) الأسباب المادية ، رفع يديه الكريمتين بالدعاء لنصرة الإسلام .

أفلا يعرف رسول الله (ص) أثر الدعاء ؟ أفلم يقرأ (ص) هذه الآية

القرآنية : ﴿ قل ما يعبأ بكم ربّي لولا دعاؤكم ﴾[1] ؟ .

بلى ، فقد قرأ رسول الله (ص) هذه الآية وعرفها ، لكنه عرف أيضاً أن الدعاء يجب أن يقترن بالعمل . وعلينا نحن أيضاً أن نقتدي به ونقلّده ، وأن ننتفع ـ في دعائنا لله ـ من أقواله وأعماله . لا أن نعمل كما اعتاد الكثيرون ، إذ هم يميلون إلى الدعاء فقط إن أرادوا الفرار من العمل . فعلينا أن لا نميل إلى الدعاء فحسب ، بل أن نقرن الدعاء بالعمل .

أحكام ألصقوها بالإسلام !!

هناك عقدة لا بد لي من الحديث عنها ، فمن زمان ابن تيميّة حتى اليوم (من أتباعه : الوهابيون الذين ابتدعوا بدعاً ألصقوها بالإسلام ، منها أنّه تحرم زيارة القبر ومسّه ، كما يحرم البكاء على الميت وو. . . من أين ابتدعتم هذه الأحكام ؟! .

حديث موضوع !!

هناك حديث موضوع كذلك ، حتى أن السيدة عائشة ردّته أيضاً ، وهو : « إنَّ الميّت يعذّب ببكاء أهله » .

يقولون : أنتم أيها الشيعة تبكون على الحسين ، وتلطمون صدوركم ، وكل هذا حرام ، لأن النبي قال : إن بكى أحدكم على ميت فإن الميت يعذّب ببكائه ! والحقيقة هي أن هذا الحديث لم يرد ـ قطعاً ـ على لسان النبي (ص) .

هؤلاء السادة الذين لا استعداد لديهم لسماع كلمة العقل والحق ، يقولون بإصرار : لا ، أنتم إنما تلقون الكلام على عواهنه ، ألم تروا إذا أراد

---

(١) سورة الفرقان (٢٥) : الآية ٧٧ .

أحد أن يقبّل ضريح رسول الله (ص) كيف يضربونه الضرب المبرّح ، فما هي حجّتكم في منعه ؟! .

﴿ لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله ﴾[1] . أي لا تسبقوا رسول الله (ص) بقول ولا فعل ، فما نقوله من عند أنفسنا يعد - أحياناً - تقدماً على الله والرسول في الحكم والرأي . أي أن الإنسان يقدم رأيه وحكمه على رأي الله ورسوله[2] .

ورد في كتاب (عدة الداعي) عن خاتم الأنبيا محمد (ص) ما مضمونه :

تأتي جماعة من أمتي يوم القيامة بأعمال كثيرة أشبه بالثوب المصري بياضاً وتلالؤاً ، فيؤمر بهم إلى النار ؛ فيقال : يا رسول الله ، ألم يكونوا من المصلين ؟ فيقول : بلى ، فهم لم يتركوا صلاة ؛ فيقال : ألم يكونوا من الصائمين ؟ فيقول : بلى ، كانوا من الصائمين ؛ فيقال : إذاً ، فما الذي قذف بهم في النار ؟ فيقول : كانوا « إذا لاح لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه » . أي : كانوا إذا ما رأوا مالاً حراماً ارتموا عليه (كما تثب الهرة إذا رأت سمكة فاختطفتها) .

مثلاً : أحدهم توفي أبوه ، وانتقلت أمواله إليه ، فقيل له : هذا نصيب أخيك وأختك من الإرث ، فأعطهما حقهما ، أو يُسأل : لماذا لا تُجري ما يعود لأبيك وهو الثلث ؟ فيقول دعوا عنكم هذا الكلام ! ذلك لأنه لا تقوى في قلبه[3] .

---

(١) سورة الحجرات (٤٩) : الآية ١ .
(٢) من كتاب (آداب من القرآن) ص ٢٧ - ٣٠ .
(٣) من كتاب (آداب من القرآن) ص ٤٤ .

على السادة أن يضاعفوا الحذر

عقوبة المعصيـة إذا اقترفهـا أحد السـادة تأتي مضاعفة، فعلى السـادة أن يحذروا أكثر من الآخرين .

ورد في كتاب الوافي : « للمحسن منّا أجران ، وللمسيء منّا عقابان » . يعود أحد العقابين للذنب نفسه ، ويعود الآخر لهتكـه النسب الشريف وإهـانته لجدّه .

أيتهـا السيدة التي تخـرجين دون حجاب ، وتقـولين مع ذلـك : أنـا من السادة ! إنما ينتظرك غداً عقابان أحدهما لارتكـابك المعصيـة ، والآخر لأنـك هتكت كـرامة فـاطمة الـزهراء (ع) ؛ فـأنت علوية وتعـرفين قدر فعلتـك . لقد هتكت دين جـدّك ، وسيقـول من يـراك : وكيف يفعـل هـذا أبنـاء صـاحب الرسالة ؟! العدو الداخلي صعب أمره ، فالأبناء يمكن أن يكـونوا أعـداء ، من هنا كان العقـابان . عسى أن يكـون السادة في الصف الأول من الصـالحين ، فيكونوا للآخرين قدوة ، فأبناء النبي أجدر بالعمل بشريعة النبي . على النسـاء من السادة أن يتقدمن الأخريات عفّـة وعصمة واتّبـاعاً لجـدتهن الزهـراء (ع) ، فتتعلم الأخريات منهن ويقتدين بهنّ .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾[1] .

لا ترتّبوا أثراً على قول الفاسق

عرضنا فيما تقدم أن القسم الأول من السورة المباركة (الحجرات) إنما هو لتبيان كيفية السلوك ومراعاة حدود الأدب مع الله والرسول .

ونشرع الآن بتبيان التكاليف العامة والأحكام الهامّة التي تتعلق بمعاشرة المسلمين لبعضهم ، فإن رعوها فقد ضمنوا سعادة دنياهم وأخراهم ، وإن لم يفعلوا فقد أفسدوا دنياهم وحياة مجتمعهم ، كما أفسدوا آخرتهم .

أول حكم يقع مورداً لابتلائكم جميعاً تضمنته هذه الآية المباركة مع الوعيد عليه ، وبيانه :

أيها المسلمون : إن جاءكم فاسق بخبر كاذب فلا تصدقوه لئلا تندموا فيما بعد دون نفع تجنونه ، وأضرب لذلك مثلاً :

لو قال لك أحدهم : رأيت شاباً في بيتك وعند عيالك ، وذلك خلال

---

(١) سورة الحجرات (٤٩) : الآية ٦ .

غيابك عن البيت ؛ فلا يحق لك أيها الإنسان العاقل أن تقبل قوله بمجرد سماعك له ، ثم تبادر إلى طريق الشكوى ، فالمحكمة فالطلاق ، ثم يتبين لك أن الشاب الذي دخل بيتك إنما هو أخو زوجتك ، لكن مثير الفتنة كان يجهله فتخيله أجنبياً ! .

أما أنت فلم تتحقق ، بل توهمت فقط ؛ ثم ندمت على طلاق زوجتك ، فيا لها تعاسة ! إنها من التعاسات التي نزلت بالمجتمع من هذا الواقع ، الذي يصدّق الفرد فيه كلّ ما يسمع ، الأمر الذي يسبب فساد المجتمع .

فالويل لو كنت ممن يرتبون آثاراً على ما يسمعون ، ويحسّون بالقهر لما يتوهّمون ! تجنّب ذلك ، فهو يورث الفرقة والحرمان ، كما يورث العداوة والبغضاء[1] .

المؤمن ينفر من الذنب

أما من حيث العمل ، أتدرون من هو المؤمن الرشيد ؟ إنه من يلتزم بالآية الشريفة ﴿ **وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان** ﴾[2] . فهو أصلاً يغضب من الكفر وينفر من الفسوق والعصيان .

وقد اختلفت الأقوال في تحديد الفرق بين الكفر والفسوق والعصيان .

فالكفر : يعني الإنكار . يقول : يا أبت دع عنك هذه الأقوال فقد غدت قديمة . أجل ، فاليوم قد سخّروا الفضاء ونزلوا على القمر ، فإذا ذكرت الليلة الأولى في القبر هزئوا من قولك . فالكفر يعني إنكار المبدأ والمعاد .

أما الفسوق : فيعني الذنب . ولا كفر في الذنب والشقاء ، والفاسق لا

---

(١) من كتاب (آداب من القرآن) ص ٨٠ .

(٢) سورة الحجرات (٤٩) : الآية ٧ .

ينكر الله ولا ينكر القيـامة والحساب ، ولا الجنة والنار . يقولون له : لماذا لا تصـوم ؟ فيجيب : قلبي لا يميل إلى الصـوم . إنه يـدّعي الشجـاعـة . فمـاذا يحتاج الله من صيامي وصيامك ؟! هذا هو الفسوق . فالفسـوق يعني الخروج عن الطاعة ، الخروج عن العبودية ، وعدم الاعتراف بها .

وأمـا العصيان : فهـو أدنى من الفسوق ؛ إذ قـال بعضهم : إن الفسوق يعني الكبيرة ، وخصوصاً الكذب ، أما العصيان فهو مطلق الذنب ، كبيراً كان أم صغيراً .

وإجمالاً : فالمؤمن الـرشيد المـرضيّ عنه من الله هـو الذي يغضب من الكفـر والفسـوق والعصيـان ، ليس عصيـان النـاس فقط بـل عصيـان نفسـه والنـاس ، فهو يغضب من البـذاءة إن صدرت منـه أو من الآخرين ، وبعضهم يغضبـون من البذاءة . . إنمـا البذاءة التي تـوجه إليهم ، أمـا هم ، فلو وجّهوا للغير عشرة أضعافها فلا بأس في ذلك ! .

المؤمن الحقيقي هو الذي يستنكر الفحش من حيث هو معصية ، لا من حيث هو موجّه إليه ؛ فمثلاً : امرأة خـرجت إلى الشارع بـوضع مفجـع ، وقد تضمخت بالعطر أيضاً ، فيثور غضبه ـ واقعاً ـ لمشهدها ، سواء كانت ابنتـه أم ابنـة غيره ، لأن مـا استدعى غضبـه هـو المعصيـة نفسهـا ، طبيعـة المعصيـة تستـدعي أن يحس المرء بمـرارة مـذاقهـا ، وهـذا دليـل على رشـاده وسـداده وصلاحه .

تقول الآية الكريمة بعـد ذلك : ﴿ **أولئـك هم الراشـدون** ﴾[1] . أي : أولئـك هم المهتـدون وهم أهـل الكمـال . فـالمؤمن الحق هـو من تغضبـه المعصية ، وليس كل مؤمن كذلك ، فهذا مقام لا يبلغه الجميع ، إذ يمكن أن نجد واحداً في كل ألف .

---

(١) سورة الحجرات (٤٩) : الآية ٧ .

« ما كل من كان مسلماً صار (سلمان) ، بل عليه أن يكـون (سلمان) أولاً ، ثم بعدها يصير مسلماً »[1] .

ثم يقول الكتاب المجيد : ﴿ فضلاً من الله ونعمـة ﴾[2] . أي : أن الله يعطي من فضله من هو جدير بالعطاء ، (قلت قبلاً : إن هذه الآية لا تعني أن الجبر هو جواب للجبر) .

﴿ والله عليم حكيم ﴾[3] . أي : أن هذا الفضل والنعمة من الله ، هذه الـدرجة من الإيمـان والـرشـد والصـلاح ، والتي هي عبـارة عن مـرارة مـذاق الذنب ، يعلم الله لمن يعطيها ؛ فالنفـوس الشقية والمتمـردة ليست أهلاً لهـذا المقام ، والله يعرف الفرد أكثر من معرفته لنفسه ﴿ يعلم السرّ وأخفى ﴾ ، وهو الحكيم بحكمته البالغة ، فالزعفران لا ينشـر أمام وجـه الحمار ، وهـذا النور ، نور الإيمان والرشد والسداد لا يعطى لأيّ كان .

أعجب به من مقام شامخ ، يبلغ بالإنسان إلى حيث يكون الإيمان أحب الأشياء إليه ، فيحسّ بمرارة المعصية في فمه ، وهو يـأتي تلو المعصوم الـذي رأى برهان ربّه . عليم يعلم مكانه ، حكيم بحكمته البالغة ، يعـطي المستحق إذا أعطى .

أيها الناس ، من كان همه أن يقول صباح مساء : المال ، المال ! كيف يوهب نور الإيمان ؟! إن كان همّه وغمّه تنمية المال والثروة والقدرة ، فأين هو ممن يوهَب الإيمان ؟ ألا إنه ليس أهلاً له ![4] .

---

(١) ترجمة لبيت من الشعر الفارسي :

نه هركن شـد مسلمان ميتـوان كفتش كه سلمـان شد
كه از اول بايدش سلمان شدوآنكه مسلمان شد

(٢) سورة الحجرات (٤٩) : الآية ٨ .
(٣) سورة الحجرات (٤٩) : الآية ٨ .
(٤) من كتاب (آداب من القرآن) ص ١١٩ .

العين عن عِرض المضيّف قاصرة

يـذكـر من أحـوال ربيعـة بن خصيم ـ وكـان من أصحـاب ابن مسعـود القـارىء والفقيه ، وكـان يختلف إليه كي ينتفـع من علمه وفقهه ـ أنه مرّت أيام تخلّف فيها ربيعة عن الحضور ، فقالت إمـرأة ابن مسعود لـزوجها : مـاذا جرى لرفيقك الأعمى ؟ فقـد مضت أيام لم يحضر فيهـا إليك ، فـأجاب : ليس لـدي رفيق أعمى ! قـالت : كيف ؟ إنّه ذاك الـذي كان يختلف كـل يـوم إلى دارنـا ! فقال : إنّه ليس بأعمى ! قالت : كنت كلما نـظرت إلى عينيه رأيتهـما لا تطرفـان فخيّل إليّ أنه أعمى !! .

نفسي الفداء لرجل كهذا الرجل ! يتردد إلى بيت رفيقه فـلا يتطفّـل ، لا يـرفع رأسـه فينظر مـاذا في داخل هـذه الغـرفـة أو تلك ، لا ينـظر إلى المـرأة والأطفال .

نعوذ بالله أن يجعل عالي هذه الأرض سافلها !! .

الخلاصة : على كـل امرىء أن يـراقب نفسه ، فـإن فعل أحب النـاس وأحبـوه ، وتزدهـر بذاك المحبـة الإيمانيـة ، ويصـحّ التـوجـه إلى الله ، وليس التوجه إلى الله من خـلال النفس والهوى ، بـل من خلال عيـادة مريض لـوجه الله ، أو تشييع ميت لوجه الله ، فكل شيء لله وحده[1] .

يا الله ! .

النهي عما يوجب الفرقة

ورد النهي عن كل ما يوجب نفور القلوب وفرقة المسلمين ، أي أن كـل ما يبعث على تفرقة القلوب ـ بل يوجب إيلام قلب المؤمن ـ فهو حرام ، إذ هو وسيلة اتّصال مع الشيطان على ضوء ما تقدم .

---

(١) من كتاب (آداب من القرآن) ص ١٦٠ .

ومن الأمور المحرمة ـ كونها توجب التفرقة والتشتت وإيلام قلوب المسلمين ـ الهزء والسخرية . ففي الآية الشريفة حيث الشاهد على بحثنا : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم** ﴾[1] .

تقول الآية : يا أيها المؤمنون ، يا أهل القرآن ، يا أيها الذين تقولون : « إن الساعة آتية » ، إن خطابنا موجه إليكم ، وليس إلى اليهود والنصارى ، فهؤلاء إنما لا عقيدة لهم . نخاطبكم أنتم من تقولون : إن القرآن حق ، وإن القيامة حق ، وإن محمداً حق .

أيها المؤمن ، أقول لك : إن السخرية والهزء بالمسلمين حرام ، إذ هي السبب في الفرقة والبعد عن الرحمات التي ذكرت ، والويل كل الويل مما بعدها ، مما يصبّه الشياطين على رؤوس الطرفين فيوقعون بينهما .

﴿ **لا يسخر قوم من قوم** ﴾ : القوم تعنى الرجال ، فلا يسخر رجل من رجل . ﴿ **ولا نساء من نساء** ﴾ : ولا امرأة من امرأة ؛ فالسخرية تعني التحقير والإذلال ، كأن تقول كلاماً ترجو به تحقير من عساه يكون خيراً منك ، كما ورد في ذيل الآية ، وكما ورد في مواضع أخرى عديدة ، مما يعود للهزء والتنابز بالألقاب .

صفيّة أم المؤمنين

صفيّة زوج رسول الله (ص) بنت حي بن أخطب . كانت إحدى كبيرات نساء اليهود ؛ قتل أبوها بعد أن تم فتح حصن خيبر على يد أمير المؤمنين (ع) .

حظيت هذه السيدة بشرف الزواج من رسول الله (ص) . وبعد أن دخلت بيته ، صار البعض يدعوها باليهودية ، أو بنت اليهودي ! . .

---

(١) سورة الحجرات (٤٩) : الآية ١١ .

كانت هذه المسكينة ـ بعد أن فقدت أباها ـ قد تعزّت بشرف الاقتران برسول الله (ص) ، فجاء من يسخر منها سخريةً كلسع الإبر ، فشكت أمرها إلى الرسول (ص) ، فغضب وقال لها :

« هلاّ قلت : أبي هرون ، وعمي موسى ، وزوجي محمد المصطفى » ؟! .

هذا مثال أوردته عن السخرية والتنابز بالألقاب .

لماذا تنعت هذا المؤمن ، أو هذا المسلم بالألقاب القبيحة ؟ فأن تلقب إنساناً بالمعصية حرام ، كأن تقول : أبوك كان كذا . . أو أمك كانت كذا . . والله يأمرك بأن لا تسخر فـ ﴿ **عسى أن يكونوا خيراً منهم** ﴾ ، أي : احذر يا من تسخر من المؤمن ، لعل ذلك الذي تسخر منه خير منك عند الله ، لأنك إنما ترى الظاهر ، فما أدراك بما تحت الحجاب ؟ فكم من أناس لا ترى لهم شأناً أو قيمة في الظاهر في حين يكونون من أهل الشرف والعزة والاحترام عند الله . ﴿ **عسى أن يكونوا خيراً منهم** ﴾ ، كم من أناس فقراء يفترشون الأرض ، ولا يملكون من حطام الدنيا أكثر من ثوبين ، غير أنهم عند الله من ذوي المقام الرفيع ، ومن أهل الدعوة المستجابة .

عبد الغفار (المجهول) والصلاة خلف إمام الزمان (عج)

خطر لي ذكر المرحوم عبد الغفار . كان قبل ثمانين أو تسعين سنة في شيراز ، كان خامل الذكر مجهولاً ، يظهر بثياب عسكرية ، ويسكن زاوية من حجرة في مدرسة خان شيراز .

ينسب إلى هذا الرجل ـ مما كان مجهولاً ـ أنه كان من أصحاب الكرامات ، وأنه وفّق للصلاة خلف إمام الزمان (عج) .

وكان المرحوم الشيخ مهدي كجوري ـ أعلى الله مقامه ـ ممن لهم معرفة بأحواله ، إذ كان ملمّاً بعلوم غريبة من تلك التي يلمّ بها عبد الغفار . وبعد أ

توفي عبد الغفار وفات بموته ما فات (كما روى لي بعض المسنين) حضر الشيخ إلى مدرسة خان شيراز نفسها ، وجهر قائلاً : أيها المسلمون ، أتعلمون ماذا كان جوهر هذا الشخص ؟ . . ثم تحدث عن طرف من أحواله وكراماته .
وقبره الآن في دار السلام ، وهو قبر قديم ومحل لاستجابة الدعاء ، ـ ويظهر أن قبره من إنشاء الشيخ كجوري ـ يقصده المؤمنون لطلب حاجاتهم من الله .
وكان في الواقع رجلاً عظيماً . وقد كتب الشيخ على قبره : « الذي تشرّف بلقاء الحجة » فهو بذلك يشهد بأن هذا الرجل قد شاهد وليّ العصر (عج) وصلّى وراءه ، وإن عوالم المعرفة التي أحاط بها هذا الرجل العظيم ـ في ثيابه العسكرية ـ كانت أمراً لم يلتفت إليه أحد . (أردت ـ فحسب ـ أن أضرب مثلاً) .

كن حيث يكون أولياء الله

يجدر الالتفات إلى أن شخصاً تسخرون منه ، وتنظرون إليه باستهزاء واحتقار ، يمكن أن يكون من أحبّاء الله ، فما أدرانا ؟! إنما الويل لك لو كان كذلك ، فأتيت أنت وسخرت منه ! لكم تكون جاهلاً عديم المعرفة ، فالويل لكل من تجرّأ على أحبّاء الله .

لعلك تقول : وأين هم أحبّاء الله ؟ ما أدراني ؟! « أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري » . فغير الله لا يدري أحد من هم أحباء الله ، فالأمر خفيّ ، وعلى الإنسان أن يحترم الجميع ، فلا يسخر من أحد ، ولا يحقّر أحداً ، إذ لا ميزان هناك ، قد يكون الشخص بلا عمامة ، وليس من رجال الدين ؛ فالقداسة العجيبة الغريبة لا ميزان لها ، بل التقوى هي الحد الأدنى .

أنا لا أعرف من يكون حبيب الله . إنما أعرف أن من تسبب في إيلام حبيب الله فقد أعلن الحرب على الله[1] .

---

(1) « من أذلّ لي ولياً أرصد لي بالمحاربة ، ومن حاربني حاربته » سفينة البحار ج ٢ ص ٦٩٠ .
من كتاب (آداب من القرآن) ص ١٧٣ ـ ١٧٦ .

جنايات تعقب الأفلام الجنائية

كتب قبل بضعة شهور أن طفلاً في العاشرة ، في إحدى المدن الإيرانية ، قتل بالسكين أخته البالغة ثلاث سنوات من عمرها ، وراحوا ـ فيما بعد ـ في دوائر الشرطة والمحاكم يحققون مع الطفل القاتل عن منشأ هذا العمل ، وتبين إجمالاً ـ بعد التحقيق ـ أنه على أثر عرض لفيلم جنائي (في التلفزيون) في ليلة الجريمة ، تحرك في هذا الطفل الأكمه حسّ القتل .

أيها الآباء . . اقتنوا أجهزة (التلفزيون) في بيوتكم ، واصنعوا من أطفالكم قتلة !! .

وهل يكون نشدان الفرح كذلك ؟ فرح يضرم نار الشهوة ؟! أي قذارة ! أي بلاء ! أي نكبة !! نعم ، أنت تنشد الفرح والتسلية ، فلتكن إذاً ، التسلية السليمة التي أمر الله بها في كتابه المجيد[1] .

فلتفرح بفضل الله ورحمته ، تدبّر وتأمل فضل الله في تلك المائدة المبسوطة أمامك ، في ذلك الخبز الذي تتناوله ، في الطريق إلى الفرح والسعادة أنت تنعم بنعمة الله ، هذا الخبز . . أين كان ؟ لقد عملت آلاف الأيدي حتى أوصلته إليك .

« السحاب والريح والقمر والشمس والفلك ، كلها عملت حتى تتناول لقمتك ، فلا تأكلها وأنت غافل » ![2] .

ذنب كل امرىء بقدر نفسه

ذنب علي (ع) يناسب مقامه ، لا تقل : إن علياً كان معصوماً فلا ذنب

---

(١) ﴿ قل بفضل الله وبرحمته ، فبذلك فليفرحوا ﴾ سورة يونس (١٠) : الآية ٥٨ .

(٢) من كتاب (آداب من القرآن) ص ١٨٩ . بيت من الشعر الفارسي :

ابر وباد ومه وخورشيد وفلك دركارند   تاتو نانى بهكف آري وبه غفلت نخورى

لـه ، فذنبي وذنبـك هما من تلك الـذنوب الكبيـرة والصغيرة إلتي تشعـل النار فينا . أما ذنب علي فهو مجرد قلّة في التـوجّه ، وقلة في حـال الاستغراق هـو يعرفها . وأنت أيضاً عليك أن تعـرف حالـك ، أن تلتفت إلى ذنوب نفسـك ، ولتقل مع علي (ع) :

إلهي لئـن جلّت وجـمّت خـطيئـتي فعفـوك عن ذنبي أجـلّ وأوسـع[1]

« إلهي . . لقد طفح قلبي بالذنـوب وغمرتني الآثـام ، .فلئن كانت ذنـوبي كبيرة ، فإنّ عفوك أكبر . فمن أنا ؟ وما أكون أمام عفوك وكرمك يا رب ؟ .

« طـال بي زمـان لم أراع فيـه الحـرمـات ، لكن قلبي قـد صحـا الآن واستفاق ، فامح يا رب عني مـا تجاوزت فيـه الحرمـات ، واعف يا رب عمـا هممت به منها ؛ وتجاوز بالعطاء منك عن خـطأي ، وتجاوز بـالوفـاء منك عن جفـائي ، فكلّ مـا أتى مني قد أتى عن لئيم . فليكن مـا يـأتي منـك ، يـأتي عن كريم »[2] .

يـا كريم يـا رحيم يا ربّ عليّ ، كـلّ ما بـدر مني من أول عمري وحتى اليوم . . كل ما زلق به لساني وعيني وأذني وجوارحي ممـا ليس في رضاك . . اعف عنه يا رب بشفاعة علي (ع) ، واغفر لي يا ربّ كل ما مضى .

ونحن الآن ـ في هـذا المجلس الـذي نقيمـه على اسم علي (ع) ـ نعاهدك يا ربّ أن لا نقترف ذنباً بعد الآن[3] .

---

(١) من مناجاة أمير المؤمنين (ع) . .

(٢) ترجمة لأبيات من الشعر الفارسي :

موتى بى حرمتى بسيار شد . اين زمان ازخواب دل بيدار شد
محو كن بى حرمتيها مرا عفوكن دون همتيهاى مرا
اى عطا ازتو ، خطا برمامكير اى وفا ازتو جفا برما مكير
آيد. ازما آنجه آيد أز لئيم توبكن نير آنجه آيد از كريم

(٣) « و يا ربّ شرطي الاّ أعود في مكروهك ؛ وضماني الا أرجع في مذمومك ، وعهدي أن أهجر جميع معاصيك » .

دعاء التوبة ـ الصحيفة السجادية .

قل : يا ربّ أعنّي على الوفاء بما عاهدت عليه[1] .

آخر أقوال أمير المؤمنين (ع)

قال من احتارت فيه العيون (ع) :

« هـذا أخي رسول الله ، هـذا عمي حمـزة ، هـذا أخي جعفـر ، هؤلاء أصحاب رسول الله » .

سلّمَ عليهم واحـداً واحداً ، سلّم على النبي وحمـزة وجعفر ، وهم قـد سبقوه . وكل من سبقه رفاقه فسيكونون في استقبال روحه ساعة الموت ، فإن كان من أهل الصلاح غادر الدنيا بالرفقة الصالحـة والقلب المطمئن ، وهـا هو النبي (ص) يحضر للقاء علي (ع) ، مع أصحابه والملائكة المقربين .

وفي القـرآن آيتـان تقـولان : ﴿ **لمثـل هـذا فليعمـل العـاملون** ﴾[2] . و ﴿ **إنَّ الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون** ﴾[3] .

على كلّ أن يعمل من أجل آخرته ، من أجل هذا الموقع ، موقع نتائـج الأعمـال ، وهذا مـوقع أعمـال علي (ع) ، قد حـلّ موسم حصـاد ما غـرسه ، ورأى أمامه مـا قدّمـه فقال : « لمثـل هذا » . . يـا شيعتي اعملوا ، وحتى قيام الساعة ، فسترون ساعـة الموت كـل خيرٍ عملتمـوه ، وكل نعمـة ، فتشبوا لكم عن رفـاق يكـون لكم ـ في سـاعـة المـوت ـ نـصيـب من نـور تـقـواهم وروحانيتهم[4] .

---

(١) « ولا وفاء لي بالتوبة إلّا بعصمتـك ، ولا استمساك بي عن الخـطايا إلّا عن قـوّتك » . الصحيفـة السجادية .

(٢) سورة الصافات (٣٧) : الآية ٦١ .

(٣) سورة النحل (١٦) : الآية ١٢٨ .

(٤) من كتاب (آداب من القرآن) ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .

اليد الممتدّة إلى الله لا تعود صفراً

بناء على خبر ورد في أصول الكافي عن الإمام الصادق (ع) :

« ما أبرز عبد يده إلى الله العزيز الجبار إلاّ استحيا الله عزّ وجلّ أن يردّها صفراً ، حتى يجعل فيها من فضل رحمته ما يشاء ، فإذا دعا أحد فلا يردّ يده حتى يمسح على وجهه ورأسه »[1] .

لئن مددت يدك وقلت : أعطني ، أفلا يعطيك ؟! إن كنت جاداً ، إن امتدت منك يد الحاجة والفاقة والضعف فمحال أن لا يؤخذ بيدك ، محال أن ترتدّ يدك إليك خالية .

« لا تقل ، ليس لي من طريق إلى السلطان ، إذ العمل مع الكرام لا إشكال فيه ؛ أفلم يكن سليمان ينظر إلى النملة بكل احتشام »؟![2] .

آمل أن يشملني نظر علي (ع) في ساعة الموت ، فإن ولي الله ـ لا شك ـ كريم . اجعل يا إلهي علياً هبة للجميع ، أما في ظلمة القبر ، فاجعل يا إلهي نور علي عطاء للجميع .

« أسألك الأمن والإيمان بك ، والتصديق بنبيّك » .

الحسين (ع) يكرر دعوة النساء إلى الصبر

أقول : حين حملوا جثمان علي الطاهر وخرجوا به ، ارتفع صراخ النساء وعويلهم ، وأردن الخروج معه ، فمنعهنّ الحسين (ع) وقال : ارجعن ، وعليكن بالسكينة والصبر .

---

(١) أصول الكافي ـ باب إن من دعا استجيب له .

(٢) ترجمة بيتين من الشعر الفارسي :

تومكو مارا بآن شه راه نيست	باكريمان كارها دشوار نيست
سليمان با جنان حشمت	نظرها بود با مورش

وحين ودّعهنّ هو الوداع الأخير في عاشوراء ،وعزم على الخروج ، أبت النساء أن يدَعْنه فقال : « عليكنّ بالصبر » ولا تبكين ، « إن البكاءِ أمامكنّ » ! فالبكاء ليس هذا وقته ، بل البكاء أمامكنّ ، لأنّ أمامكنّ شماتة الأعداء[1] .

---

(١) من كتاب (آداب من القرآن) ص ٣١٠ .

الفصـل الثاني

موازين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لكل عمل مقياس ، فإذا تجاوز إنسان هذا المقياس عـمّ الفساد .

كـذلك فللأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر مـوازين ، وعلى من يروم القيـام بهذا الـواجب أن يعلم موازينـه ، فإن لم يقم بـه ، أو قـام بـه جـاهـلاً لشرائطه وموازينه ، فإن ضرر عمله سيكون أكثر من نفعه .

مثلاً : كثيراً ما يقتضي الأمر التشـدّد في النفقة ، إذا بلغت حـداً يخشى معه أن يهب لين العيش جرأة لفاعل المنكر ،فيزداد إصراراً عليه .

كما يقتضى في الأمر والنهي اعتبـار ظروف الـزمان والمكـان والنفسيات بشكل دقيق ، والعلم بها جيـداً ، فلا يـوضع اللين مكـان الشدة ، ولا الشـدة مكان اللين .

فالطفل الذي يسـرع نحو بئـر أو نحو نـار مشتعلة . لا يفيد اللسـان في تحذيره ؟ والظالم الغارق في بحر من المعاصي والذنوب ستزيده الشدة إمعانـاً في عدائه وظلمه ، ولعل اللسان الرقيق يفلح في كفه عن الظلم .

يقول عمر بن حنـظلة عن الإمام الصـادق (ع) أنه قـال : لا تشتدّوا على شيعتنا ! عليكم بمداراتهم ، لأن الناس لا يحتملون القهر والشدة .

يقول الزهري عن الإمام زين العابدين (ع) أنه قال :

كانت آخر نصيحة للخضر إلى موسى (ع) : إيّاك وملامة إنسان على ذنبه ، فإن أفضل الأعمال عند الله ثلاثة : الاقتصاد عند الثراء ،والإحسان عند امتلاك الثروة ، ومداراة عباد الله .

فأي امرىء أحسن معاملة شخص في الدنيا ، أحسن الله معاملته يوم القيامة ، و « رأس الحكمة مخافة الله » .

الحجاب والنهي عن المنكر

إذا نهيت عن المنكر فليكن نهيك ممزوجاً بالعطف والقول الحسن ؛ فإن رأيت امرأة سافرة فقل لها بعطف : أيتها الأخت المسلمة المحترمة ، القرآن المجيد يقول : ﴿ وليضربن بخمرهنّ على جيوبهنّ ﴾ ، فعلى المرأة أن تتحجب ، فالظهور أمام الملأ برأس مكشوف حرام ، إن كان في قلبك محبة لبلدنا الإسلامي ، فلا تخرجي إلى الشوارع بأرجل مكشوفة .

والخلاصة : يتوجب على الجميع الإرشاد ، قبل الزجر والنهي ، فلعلّ الكثيرات لا يدركن أن حكم الله في مسألة الحجاب إنما هو لخيرهن[1] ، فاعملوا الخير وقدموا لهن النصيحة بمحبة ، التزموا قوانين العمل بدقة ، دون أن تتوقعوا أن يتم تطبيق القانون بالقوة .

شاركوا في تشييع الشهداء

تشييع الشهداء الذين يأتون بهم من جبهات الحق موقف من مواقف

(١) ﴿ ذلك أزكى لهم ﴾ . سورة النور (٢٤) : الآية ٣٠ .

الله . كان أمير المؤمنين (ع) يشيّع الجنائز حافي القدمين . « السلام عليكم يا أنصار دين الله » .

الشهداء هم أنصارُ الحسين (ع) ، وقد لبّوا دعوته . لأن المعتدي اللعين هو يزيد هذا الزمان . وجندنا هم جند الحسين (ع) .

أرجو ألا تشاهد امرأة سافرة في الشوارع بعد اليوم ، وعلى النساء أن يحاسبن بعضهنّ بعضاً ، أن يقول بعضهنّ للسافرات منهنّ : إننا إنما نرسل بشبابنا إلى الشهادة حرصاً على بلادنا ، بينما تظهرن أنتنّ بهذا المظهر السيّىء ؟! .

وعلى شباب هاته النسوة أيضاً . أن يرافقوا شبابنا للدفاع عن البلاد ، إن لم يكن مانع ؛ وأذكّر الأفراد الذين فقدوا حسّ الملاحظة ، فتراهم لا يراعون الهدوء والسكينة ، أذكّرهم أن يراعوا ذلك إن شاء الله . ولتشرحوا لجيرانكم حقيقة الأوضاع ، فلعل في الشرح والوضوح ما يدرأ الخطر عن البلاد .

النساء في الإدارات

منكر آخر : إن رأيتم امرأة تسير في الشارع برأس وأيد وأرجل مكشوفة ، أو في بعض الإدارات ـ كما سمعت ـ حيث تضع بعضهن قطعة منديل على الرأس ويتركن ما بقي عارياً ، فيسخرن من أنفسهن ويخدعنها ، إن رأيتم لدى مراجعة تلك الإدارات أمراً كهذا فلتعترضوا عليه ، ولتقولوا لهنّ : كيف تتقاضين حقوقكنّ من بيت مال المسلمين ثم تقدمن على خيانة الإسلام ؟! .

الويل كذلك لكل من يفطر علناً أيام الصوم ، والويل لكل امرأة سافرة في هذه الإدارات ، وليعلم أن مدير الإدارة مسؤول ، وخاصّة أولئك الذين ندمت بتعيينهم ، والذين يمارسون التفتيش ويترددون على كل إدارة ومؤسسة عليهم أن يعلموني إن رأوا ما يخالف الإسلام ، كي أقوم بالمقتضى .

لا تسكتوا عن أي منكر ترونه ، التزاماً بمحبة إله الإسلام ، إن شئتم أن تكونوا ﴿ **شهداء للناس** ﴾ من كل الوجوه فعليكم الالتزام بكافة مناهج الإسلام . لقد وضعتم البرامج وعليكم العمل بها حتى تكونوا ﴿ **خير أمة** ﴾ بكل ما في الكلمة من معنى ، وإذ ذاك ، سيكون رجالكم أنموذجاً للرجال ، وتكون نساؤكم أنموذجاً لنساء العالم ، فلتكونوا القدوة للآخرين .

المرأة في إيران الإسلام أنموذج

لقد جعل الغرب من المرأة سلعة . أما أنتن يا نساء إيران فعليكن العمل بأحكام الإسلام ، وحكم الإسلام للمرأة : الحجاب ، على المرأة المسلمة أن تصون عفّتها وحياءها ، وعلينا أن لا ننظر إليها نظرة مادية حيوانية . عليها أن تكون جديرة بالاحترام ، أهلاً للفضائل الإنسانية .

أما الغربيون فلا شأن لهم بالإنسانية ! فهم لا يعلمون ما هو الحياء . على المرأة أن تبلغ من الحياء الكمال ، فلا تخرج عارية الصدر حاسرة الرأس ، عليها أن تسدل الحجاب على صدرها[1] ، كي تكون بكل هذا أنموذجاً لنساء العالم .

إني لأعجب كيف يخجل الرجال من الخروج دون جوارب ، بينما تتصرف النساء ـ وهن الخجولات ـ على النقيض من ذلك .

إن أول ما أدعو إليه اليوم هو أن تضع النساء العاملات الحجاب في كل الدوائر والمؤسسات ، إذ يقال إن بعض نسائنا يحضرن إلى هناك بمظاهر تتنافى مع الإسلام .

---

(١) ﴿ **وليضربن بخمرهنّ على جيوبهنّ** ﴾ سورة النور (٢٤) : الآية ٣١ .

عمل المرأة مشروط بالحجاب

نحن لا نقول : على المرأة ـ حتماً ـ أن تلازم بيتها فلا تخرج للعمل ، إنما هي حرة في العمل خارج بيتها بما يناسب شأنها ، ولا مانع من عمل المرأة في الإدارات ، شريطة أن تتقيد بأحكام الإسلام ، فلا يحق لها أن تتزين ؛ ترى هل هي قادمة للعمل أم لبيع الحسن والجمال ؟! .

على السيدات في كل الإدارات الالتزام بما لا يتعارض مع الطابع الإسلامي ، وعليهن أن يراعين حرمة المرأة ، لا أن يجعلن من المرأة سلعة لطلّاب المتعة في معرض عمومي !! .

إنهن بهذا العمل يضعن من شأن المرأة التي هي سواءٌ مع الرجل من جهة الإيمان والإسلام ، وعليهما معاً أن يعملا في سبيل الله ومن أجل خدمة الإسلام . والقرآن المجيد يعتبر المرأة والرجل سواء كذلك ، من حيث الإيمان والعمل الصالح[1] ، فعليهما السعي معاً للوصول إلى الكمال الإنساني[2] .

النهي عن المنكر في القول والعمل

أيها الشباب الذين تتمشّون في الشوارع . . إذا لقيتم نساء أهملن الحجاب وأبرزن زينتهن فلا تلتفتوا إليهن . فهن إنما خرجن على تلك الصورة لإغوائكم والفوز بمديحكم ، وسيتخلّين عن هذا السلوك حين يرون أنه ـ على العكس مما أردن ـ يثير نفور الشباب واشمئزازهم ؛ وإن رأيتم من المناسب أن تنصحوهن فافعلوا .

أيتها السيدة ، إن حكومتنا حكومة إسلامية ، ويتعين لذلك العمل

---

(١) ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات ﴾ سورة الأحزاب (٣٣) : الآية ٣٥ .

(٢) ﴿ . . أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ﴾ سورة آل عمران (٣) : الآية ١٩٥ .

بأحكام الإسلام . يجب التزام منتهى اللين في القول والرد على القول ، وليس بأن ينطح الرأس الرأس ، وإن تجربة ذلك مع الاستمرار فيه ، كفيلة بالوصول إلى أفضل النتائج .

من المنكرات التي تسبب بها النساء بخروجهن إلى الشوارع سافرات هي الظلم. لأن في سلوكهن هتكاً للعفة والطهارة العامة وإغواء للشباب، أما لو التزمن بالحجاب لكان أزكى لهن ، وذلك بقول الباري في كتابه المجيد[1] ، كما أنه أكثر صوناً لعفافهن .

فلتسعين أيتها السيدات أن تراعين التقوى في المجتمع ، حتى تشملنا جميعنا بركات الله المتعال[2] .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ووفّقنا لما تحب وترضى .

---

(١) ﴿ ذلك أزكى لهم ﴾ سورة النور (٢٤) : الآية ٣٠ .
(٢) من خطب الجمعة لشهيد المحراب المرحوم دستغيب .

الفصل الثالث

شرائط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

كل أمر بمعروف أو نهي عن منكر له شروط .

العلم بالمعروف والمنكر

الشرط الأول : على من يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر أن يكون عالماً بوجوبهما، فلا يأمر بغير معروف ، ولا ينهى عن غير منكر .

احتمال التأثير والفائدة

الشرط الثاني : أن يتوفّر احتمال التأثير . أما لـو تيقّن أن الأمر والنهي لا يوفران الحد الأدنى من التأثير ، مهما كان ، فالقيام بهما غير واجب .

كان هذا قانوناً عاماً ، غير أن هناك مطلبـاً وهو أن الأمـر والنهي غالبـاً ما يـتركان أثـراً ، مهما كـان هذا الأثـر محدوداً . وذلـك في حالـة لو أن أشخـاصـاً متعددين قاموا بهذا الواجب لهداية المنحرف إلى الجادة القويمـة ، فلا بـد أن هذا سيترك أثراً . وفي حال عمـل كل شخص واجبـه ، فإنـه سيغدو ملتـزماً ، وعلى هذا فليس من الصحيح القـول بأن الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر عديما التأثير . ويتضح من هذا أن على كل امرىء أن يقوم بواجبه .

وهناك أمر لا ينبغي نسيانه ، وهو أنه مهما كان كمال الاستعداد لهذا العمل غير متوفر ، فإن احتمال التأثير موجود ، من جرّاء التكرار من ناحية الآخرين ؛ وهذا الاحتمال كاف للحكم بوجوب الأمر والنهي .

من هنا يتّضح أنه حين يعلم شخص أن في الأثر الذي يتركه تكراره للأمر والنهي ، ما يمكن أن يهدي المنحرف إلى الطريق القويمة ، فيتوجّب عليه الإقدام . وبهذا فإن أول أثر يترتب على الأمر والنهي هو : وضع اللبنة الأولى في بناء التأثير .

كذلك في حالة احتمال أن عمله يترك أثراً ، ولو غير مباشر ، فعليه أن يقوم بهذا العمل ، ذلك لأن المحيط يستقر بتأثير الأفكار والأفعال ؛ وكلما شرع شخص أو مجتمع بإصلاح المحيط وتصفيته من الفساد الأخلاقي ، فإن عملهما سيترك أثراً على المحيط ، وكل فرد يتلقى التربية في مجتمع كهذا ، يغدو فرداً صالحاً .

من هنا يمكن القول بأننا توصّلنا إلى نتيجة وهي أن تلك الأمور من قبيل الخوف والتراخي ، التي يعرضونها تحت عنوان (عدم التأثير) ليست أكثر من الفرار من المسؤولية ؛ وليس لأولئك الذين يهملون هذا الواجب أي عذر .

إن الأديان التي تتمتع بالنفوذ اليوم في العالم كالإسلام . وكذلك المدارس الفكرية المنتشرة في الدنيا ، ورغم اختلاف الأفكار فيما بينها ، فهي إنما ظهرت إلى الوجود وانتشرت بالسعي والمجاهدة فحسب ، كما أن بنيانها قام بالتدريج كذلك .

فهل بعد رؤية هذا الوضع في العالم ، يمكن القول ـ حقاً ـ بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتركان أثراً ؛ وأن بسط الدعوة لا يخلّف فائدة ؟! .

لا يندم على ما عمله

الشرط الثالث : أن يكون التارك للمعروف مصراً على ترك الواجب أو فعل الحرام ، ومستمراً على ذلك . فعليه : إن ارتكب شخص منكراً أو ترك واجباً ، ثم ظهرت عليه علامات الندم والعزم على التوبة ، وصار هذا معلوماً ، فهنا لا لزوم لأمر أو نهي .

أن لا تترتب مفسدة أو ضرر

الشرط الرابع : يسقط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حال وجود ضرر أو مفسدة ، وعليه : ففي صورة وجود ضرر يكون سبباً لترك الواجب ، أو ارتكاب حرام أكبر ، فوجوب الأمر والنهي ساقط . والله العزيز يقول في محكم كتابه : ﴿ **وجاهدوا في الله حق جهاده ، هو اجتباكم ، وما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾[1] . فلا ضرر ولا ضرار في الإسلام .

هذا الشرط يستخدم وسيلة للفرار ، يتذرع بها العديد ممّن يتقاعسون عن العمل ، ويقولون : إن في عملنا ضرراً ! في حين أن الضرر المتوجّه إليهم : إما أن يكون مجرّد اتّهام ، أو إهانة ، أو خوف من السقوط عن الاعتبار بين الناس ، أو . . غير أن هذا العذر هو بالوقاحة أشبه . وإلاَّ . . ألم يُعانِ مسلمو صدر الإسلام من كل هذه المنغّصات ، بل من الضغوط وصنوف العذاب ، في سبيل قيامهم بهذين الواجبين ؟! .

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب كبير . وبواسطة هذا الواجب يتسنّى ـ لسائر الواجبات الأخرى ـ الاستمرار والبقاء[2] .

---

(١) سورة الحج (٢٢) : الآية ٧٨ .

(٢) لاستكمال هذا الكتاب تمّت الاستفادة من بعض المواضيع الواردة في كتاب (فروع الدين) ترجمة مصطفى زماني . فاقتضي التنويه .

ترك أحد الواجبات

من الذنوب التي ورد التصريح باعتبارها من الكبائر هو ترك أحد الواجبات الإلهية ، فقد ورد في صحيحة عبد العظيم عن الإمام الجواد والإمام الرضا والإمام الكاظم والإمام الصادق (ع) أنه من ترك شيئاً مما أوجبه الله فقد ارتكب إحدى الكبائر . قال : « أو شيئاً مما فرضه الله ، لأن رسول الله (ص) قال : من ترك الصلاة متعمداً فقد بريء من ذمة الله وذمة رسوله » .

قال الإمام الصادق (ع) : « والوجه الرابع من الكفر ترك ما أمر الله عز وجل به ، وهو قول الله عز وجل : ﴿ . . **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض** . . ﴾ إلى آخر الآية[1] .

وعن الإمام علي (ع) : « والوجه الرابع من الكفر ترك ما أمر الله عز وجل به ، وهو قول الله عز وجل : ﴿ **وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ، ثم أقررتم وأنتم تشهدون * ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم ، تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ، وإن يأتوكم أسارى تفادوهم ، وهو محرّم عليكم إخراجهم ، أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟! فما جزاء من يفعل ذلك منكم** . . . ﴾ ؛ فكفّرهم بترك ما أمر الله عز وجل به ، ونسبهم إلى الإيمان ولم يقبله منهم ولم ينفعهم عنده ، فقال : ﴿ **فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلاّ خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردّون إلى أشدّ العذاب ، وما الله بغافل عمّا تعملون** ﴾[2] .

خلاصة معنى الحديث الشريف هي أن ترك واجب من الواجبات الإلهية مرتبة من مراتب الكفر ، حيث يقول في الآية المتقدمة « وتكفرون ببعض » .

---

(١) سورة البقرة (٢) : الآية ٨٥ .

(٢) سورة البقرة (٢) : الآيتان ٨٤ ، ٨٥ ، (أصول الكافي - باب وجوه الكفر) .

ويعلم من هذا الحديث أن ترك الواجب من المعاصي التي أوعد الله عليها بالعذاب في القرآن الكريم ، كما ورد في ذيل الآية .

ويقول (ع) أيضاً عمّن يترك واجباً من الواجبات الإلهية ، أو من يرتكب إحدى الكبائر : « ولا ينظر الله إلى عبده ولا يزكّيه لو ترك فريضة من فرائض الله ، أو ارتكب كبيرة من الكبائر » .

وهنا يتعجب الراوي ويقول : « قلت : لا ينظر الله إليه » ؟ قال (ع) : « نعم ، قد أشرك بالله » .

فيزداد عجب الراوي ويقول : « قلت : أشرك بالله » ؟ قال (ع) : « نعم . إن الله أمره بأمر ، وأمره إبليس بأمر (أي بتَرْكِ ما أمره الله به) ، فترك ما أمر الله عز وجل به ، وصار إلى ما أمر به إبليس (من ترك الواجب وفعل الحرام) ، فهذا مع إبليس في الدرك السابع من النار »[1] .

فمن بيان الإمام (ع) يظهر أن المراد بالشرك هنا هو الشرك في مقام الإطاعة .

الفتنة والعذاب الأليم

من جملة الآيات التي ورد فيها التهديد الشديد والوعيد بالعذاب على عصيان أمر واجب ، قوله تعالى في سورة النور : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾[2] .

يقول بعض المفسرين : يمكن أن يكون المراد بالفتنة البلاء الدنيوي والعذاب الأليم في الآخرة ، كما يمكن أن تكون الفتنة والعذاب كلاهما أخرويّين .

---

(١) من وسائل الشيعة .

(٢) سورة النور (٢٤) : الآية ٦٣ .

وفي بـاب أهمية أداء الـواجبات وردت روايـات كثيرة ، منهـا قول النبي الأكرم (ص) : « قال الله تعالى ليلة المعراج : وما يتقرّب إليّ عبـد من عبادي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه »[١] .

وقال (ص) أيضاً : « اعمل بفرائض الله تكن أتقى الناس »[٢] .

ما هي الواجبات ؟

كل ما أمر الله عز وجل به ، بحيث يكون في إتيانـه الثواب ، وفي تـركه الوعيد بالعذاب يقال له فرض وواجب ؛ والفرائض الإلهية كثيرة ، لكن أكثرها أهميـة ، والتي يقوم عليهـا بنيـان الإسـلام هي خمس : الصـلاة ، الصـوم ، الـزكاة ، الحـج والـولايـة . وقـد عُبِّـر عن هـذه الفـرائض الخمس في بعض الروايات بأركان الدين وشرائع الإسلام . ويقـول صاحب الـوسائـل ـ بعد نقله بضع روايات بهذا المضمون ـ : إن الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر قسم من أقسام الجهاد ، والجهاد كذلك من توابع الولايـة ، كما أشيـر إلى ذلك في الرواية . وحيث إن الخمس ـ بتفصيل مرّ ذكـره ـ يدفـع للسادة بـدل الزكـاة ، كما أن البراءة تعدّ جزءاً مهمّاً من الولايـة ، إذاً : ففروع الـدين وأركانـه عشرة وهي : الصـلاة ، الصـوم ، الـزكـاة ، الحـج ، الخمس ، الجهـاد ، الأمـر بالمعروف ، النهي عن المنكر ، التولّي والبراءة . وقد تقدم الحديث عن تـرك الصلاة والحج والزكاة والخمس ، وأنها من الذنوب الكبائر ، فسوف نشير فيما يلي بإجمال إلى الباقي :

صيام شهر رمضان

وجوب صيام شهر رمضان من ضروريات الدين الإسلامي ، ومنكر ذلك مرتدّ واجب القتـل ؛ ومن تركـه عالمـاً متعمداً من دون عـذر ، وهو غيـر منكر

(١ ، ٢) الكافي .

لوجوبه فيجب تعزيره ، أي يجلد خمساً وعشرين جلدة ، أو المقدار الذي يراه الحاكم مناسباً ، فإن تكرر ذلك منه للمرة الثانية يعزّر أيضاً ، وفي المرة الثالثة يقتل .

عن الإمام الصادق (ع) : « من أفطر يوماً من شهر رمضان خرج روح الإيمان منه »[1] .

وعنه أيضاً : أن من أفطر ثلاث مرات في شهر رمضان بدون عذر ، ومثل في المرات الثلاث لدى الإمام ، يجب قتله في المرة الثالثة[2] .

الجهاد في سبيل الله

الجهاد ركن من أركان الإسلام كالصلاة والصيام ، كما صُرّح بذلك في الروايات . والآيات والأخبار عن أهميته وفضله ، والوعيد على تركه كثيرة .

والجهاد على أقسام :

القسم الأول : قتال الكفار ـ ابتداء ـ لدعوتهم إلى الإسلام . ولهذا القسم من الجهاد شروط من جملتها إذن الإمام (ع) ، أو إذن نائبه الخاص . وحيث إن الإمام (ع) غائب في أيامنا ، وليس له نائب خاص كذلك ، فالجهاد الابتدائي ساقط .

القسم الثاني : قتال الكفار الذين يهاجمون المسلمين لمحو الإسلام وآثاره . وإذن الإمام أو نائبه ـ في هذا القسم ـ ليس شرطاً ، بل هو ـ على عموم المسلمين ، حتى النساء في حال القدرة ـ واجب (وجوباً كفائياً) ،

---

(١) ثواب الأعمال للصدوق .

(٢) في موثقة سماعة : « سألته عن رجل أخذ في شهر رمضان وقد أفطر ثلاث مرات . قال (ع) : يقتل في الثالثة .

وفي صحيحة يونس عن أبي الحسن الماضي (ع) : « أصحاب الكبائر إذا أقيم عليهم الحد مرتين قتلوا في الثالثة » .

فعليهم أن يقاتلوا ويدافعوا عن حرمة الإسلام ، ويردّوا شرّ الأجانب والكفار .

القسم الثالث : القتال ضد جماعة من الكفار هاجموا جماعة من المسلمين لقتلهم والإغارة على أموالهم ، دون أن يكون غرضهم تغيير الدين والقضاء على الإسلام . وإذن الإمام أو نائبه ـ في هذا القسم ـ ليس شرطاً كذلك .

القسم الرابع : الجهاد في مقام الدفاع عن النفس والشرف والمال . فعلى كل مسلم يتعرض ـ هو أو مسلم آخر ـ للقتل ، أو يراد هتك شرفه ، أو شرف مسلم آخر ، أو يراد سلبه ـ أو سلب مسلم آخر ـ مالاً واجب الحفظ ، يجب في حالة القدرة أو أمن الخطر أن يدافع عن نفسه وعن الآخرين ، مع مراعاة شرائط الدفاع .

ولكلّ من هذه الأقسام الأربعة أحكام وفروع مذكورة في كتب الفقه .

يقول المرحوم كاشف الغطاء في كتاب (أصل الشيعة) :

« الجهاد هو حجر الزاوية في بناء هيكل الإسلام ، وعموده الذي قام عليه سرادقه ، واتّسعت مناطقه ، وامتدّت طرائقه ؛ ولولا الجهاد لما كان الإسلام رحمة للعالمين ، وبركة على الخلق أجمعين .

والجهاد عندنا على قسمين :

الجهاد الأكبر : بمقاومة العدو الداخلي ، وهو النفس ، ومكافحة صفاتها الذميمة وأخلاقها الرذيلة ، والجبن والجور ، والظلم والكبر والغرور ، والحسد والشحّ إلى آخر ما هناك من نظائرها . وقد قيل : « أعدى عدوّيك نفسك التي بين جنبيك » .

والجهاد الأصغر : هو مقاومة العدو الخارجي ، عدوّ الحق ، عدوّ العدل ، عدوّ الصلاح ، عدوّ الفضيلة وعدوّ الدين .

ولصعوبة معالجة النفس وانتزاع صفاتها الذميمة وغرائزها المستحكمة

فيها والمطبوعة عليها ، سمّى النبي الأكرم (ص) هـذا النوع في بعض كلمـاته (بالجهاد الأكبـر) ، ولم يزل هـو وأصحابـه رضوان الله عليهم ، طـول حياتـه وحياتهم مشغولين بالجهادين ، حتى بلغ الإسلام أسمى مبالغ العز والمجد .

ولـو أردنا أن نـطلق عنان البيـان للقلم في تصويـر ما كـان عليه الجهـاد بـالأمس (في صدر الإسـلام) ومـا صـار إليـه اليـوم لتفجّـرت العيـون دماً ، ولتمـزّقت القلوب أسفـاً ونـدمـاً ؛ ولتسـابقت العبـرات والعبــارات ، والكلوم والكلمـات ، ولكن . . أتراك فـطنت لمـا حبس قلمي ولـوى عنـاني ، وأجّـج لـوعتي وأهـاج أحـزاني ، وسلبني حتى حـريـة القـول ونفثـة المصـدور وبثّـة المحجوز » ؟! .

« فـدع عنـك نهبـاً صيـح في حجــراتـه
ولكن حــديث مـا ، حــديث الرواحل »

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف يعني دفع الغير نحو الإطاعة ، والنهي عن المنكـر يعني منع الغير عن المعصيـة ، وكلاهمـا كما الواجبات الستـة المتقدمة من أركان الإسـلام وأهم فرائضـه . وهما شعبـة من شعب الجهاد . كمـا ورد التصريـح بذلك في روايات كثيرة . وورد الأمر الأكيد بهما والوعيد الشديد على تركهمـا في الآيات والروايات ، نشير فيما يلي إلى بعضها :

أ ـ الأمـر والنهي في القـرآن : يقـول تعـالى في ســورة آل عمـران : ﴿ **ولتكن منكم أمـة يدعـون إلى الخير ، ويـأمـرون بـالمعـروف وينهـون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون** ﴾[1] .

فقـد أوصى الله في هذه الآيـة بوجـوب القيام بـالدعـوة والتبليغ إيجـابـاً

---

(١) سورة آل عمران (٣) : الآية ١٠٤ .

مؤكداً ، كما أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . .

ويقول سبحانه في مكان آخر من نفس السورة : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾[1] .

وفي سورة المائدة ، يقول تعالى في معرض لوم وتوبيخ من تركوا النهي عن المنكر : ﴿ لولا ينهاهم الربّانيّون والأحبار عن قولهم الإثم (كتحريف الكتاب ، وقول غير الحق) وأكلهم السحت ، لبئس ما كانوا يصنعون ﴾[2] .

ويقول تعالى في قصة أصحاب السبت :

﴿ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر ، إذ يعدون في السبت (يظلمون فيه بصيدهم السمك المحظر عليهم الصيد فيه) إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرّعاً (ظاهرةً على وجه الماء) ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ، كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون * وإذ قالت أمّة منهم لم تعظون قوماً (فتنهونهم عن المنكر) الله مهلكهم أو معذّبهم عذاباً شديداً ؟ قالوا معذرة إلى ربّكم ولعلّهم يتّقون * فلمّا نسوا ما ذكّروا به (ولم يعودوا عن منكرهم) أنجينا الذين ينهون عن السوء ، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون * فلما عتَوا عن ما نُهوا عنه (تمردوا في الفساد والعصيان) قلنا لهم : كونوا قردةً خاسئين ﴾[3] .

يعرف جيداً من هذه الآيات الشريفة أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المعاصي التي أوعد عليها بالعذاب في القرآن المجيد ، وأن تارك النهي عن المنكر وفاعل المنكر هما في استحقاق العذاب سواء ؛ ذلك أن فاعل المنكر إن كان قد ارتكب حراماً ، فإن تارك النهي ترك فرضاً إلهياً ـ هو

---

(١) سورة آل عمران (٣) : الآية ١١٠ .
(٢) سورة المائدة (٥) : الآية ٦٣ .
(٣) سورة الأعراف (٧) : الآيات ١٦٣ ـ ١٦٦ .

النهي عن المنكر ـ وأصبح بذلك فاسقاً[1] .

ويقول القرآن المجيد أيضاً : ﴿ **لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود (لأنهم عصوا أمره إذ نهاهم عن صيد السمك في يوم السبت) وعيسى بن مريم (إذ لعن أصحاب المائدة ، وكان هذا اللعن الشديد سبباً في مسخهم) ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون** ﴾[2] .

ففي هاتين الآيتين تهديد شديد لتاركي النهي عن المنكر .

يقول الإمام الصادق (ع) في هذه الجماعة التي كانت مورد لعن الأنبياء ، والتي مسخت لأنها لم تقم بالنهي عن المنكر :

« أما إنهم لم يكونوا يدخلون مداخلهم ، ولا يجلسون مجالسهم ، ولكن كانوا إذا لقوهم ضحكوا في وجوههم وأنسوا بهم »[3] .

ب ـ الأمر والنهي في الأخبار : عن النبي الأكرم (ص) : « إذا أمتي تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فليأذنوا بوقاعٍ من الله »[4] .

---

(١) في تفسير الميزان وردت روايات عن أهل البيت في تفسير هذه الآيات ، وهو مطابق لما ذكر ؛ فيرجع إليه .

(٢) سورة المائدة (٥) : الآيتان ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) الوسائل ـ كتاب الأمر بالمعروف ص ٥١ .

(٤) كتب المرحوم آية الله كاشف الغطاء في كتاب (أصل الشيعة وأصولها) عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال رحمه الله : « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الواجبات شرعاً وعقلاً ، وهو أساس من أسس دين الإسلام ، وهو من أفضل العبادات وأنبل الطاعات ؛ وهو باب من أبواب الجهاد والدعوة إلى الحق ، والدعاية إلى الهدى ، ومقاومة الضلال والباطل ؛ والذي ما تركه قوم إلاّ وضربهم الله بالذل وألبسهم لباس البؤس وجعلهم فريسة لكل غاشم ، وطعمة كل ظالم .
وقد ورد من صاحب الشريعة الإسلامية وأئمتنا المعصومين صلوات الله عليهم في الحث عليه والتحذير من تركه ، وبيان المفاسد والمضارّ في إهماله ما يقصم الظهور ويقطع الأعناق ، والمحاذير التي أنذرونا بها عند التواكل والتخاذل في شأن هذا الواجب قد أصبحنا نراها عياناً ، ولا نحتاج عليها دليلاً ولا برهاناً .

وعنه (ص) أيضاً : « إن الله عز وجل ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له » . فقيل : وما المؤمن الضعيف الذي لا دين له ؟ قال (ص) : « الذي لا ينهى عن المنكر »[1] .

وعن الإمام الرضا (ع) : « لتأمرنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر ، أو ليستعملنّ عليكم شراركم ؛ فيدعو خياركم (بعد ذلك) فلا يستجاب لهم »[2] .

وعن الإمام الباقر (ع) قوله : « أوحى الله إلى شعيب النبي أني معذّب من قومك مئة ألف : أربعين ألفاً من شرارهم ، وستين ألفاً من خيارهم ، فقال (ع) : يا رب ، هؤلاء الأشرار ، فما بال الأخيار ؟ فأوحى الله عز وجل إليه : داهنوا أهل المعاصي ، ولم يغضبوا لغضبي »[3] .

وعن الإمام الصادق (ع) : « ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »[4] .

= ويا ليت الأمر وقف عند ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يتجاوزه إلى أن يصير المنكر معروفاً والمعروف منكراً ، ويصير الآمر بالمعروف تاركاً له ، والناهي عن المنكر عاملاً به . ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ﴾ . فإنّا لله وإنّا إليه راجعون . فلا منكر مغير ، ولا زاجر مزدجر . لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له ، الناهين عن المنكر العاملين به » .

وأورد رحمه الله في ذيل الصفحات :

« ولله دين الإسلام ما أوسعه وأجمعه لقوانين السياسة الدينية والمدنية ، وأسباب الرقي والسعادة ، ولما جعل الشارع الأحكام . ووضع الحدود والقيود للبشر ، والأوامر والنواهي بمنزلة القوة التشريعية احتاج ذلك إلى قوة تنفيذية ، فجعل التنفيذ على المسلمين جميعاً . وأوجب على كل مسلم (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ، ليكون كل واحد قوة تنفيذية لتلك الأحكام ، « فكلكم راع وكلكم مسؤول » ، والجميع مسيطر على الجميع . . . وعلى كل واحد واجبات ثلاثة : أنْ يتعلّم ويعمل ، وأن يعلّم الغير ، وأن يبعث غيره على العلم والعمل » .

(١، ٢) الوسائل ـ كتاب الأمر بالمعروف .

(٣، ٤) المصدر السابق .

وعن أمير المؤمنين (ع) : « إن الله لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلا لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ فلعن السفهاء لركوب المعاصي ، والحكماء لترك التناهي »[1] .

شرائط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا توفرت شروط أربعة :

الأول : العلم بالمعروف والمنكر : من أراد أن يأمر آخر بأمر ما ويدفعه إلى إتيانه يجب أن يكون لديه اليقين بوجوبه أولاً ، كأن يكون من ضروريات الدين ، أو من المتفق عليه عند جميع العلماء المجتهدين ؛ فإن كانت المسألة موضع خلاف فلا يجب الأمر بها . ذلك لأنه من المحتمل أن يكون الشخص التارك مقلداً لمن لا يقول بوجوبها .

كذلك إذا احتمل أن التارك للواجب إنما تركه لعذر شرعي أو عقلي ، فلا يجب ـ حينئذٍ ـ الأمر به .

وكذلك في النهي عن المنكر يشترط أن تكون حرمة الشيء المراد النهي عنه معلومة .

مثلاً : لو رأى شخصاً يغتاب مسلماً ، واحتمل أن هذه الغيبة من الموارد المأذون بها شرعاً عند ذلك الشخص ، فلا يجب عليه النهي ، بل لا يجوز له فيما لو كان موجباً لهتكه .

وبالجملة : فإن ما يريد أن يأمر به يجب أن يكون عالماً بأنه من المعروف (حكماً وموضوعاً) ؛ وما يريد النهي عنه يجب أن يكون عالماً بأنه من المنكر (حكماً وموضوعاً) ؛ ويكون ذلك مسلّماً وقطعياً .

---

(١) نهج البلاغة .

الثاني : احتمال التأثير والفائدة : في الأمر والنهي ؛ أمّا إن كان لديه يقين بأن لا فائدة في أمره ونهيه فهو غير واجب .

قال مسعدة : سمعت أبا عبد الله (ع) وقد سئل عن الحديث الذي جاء عن النبي (ص) : « إن أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر » . قال (ع) : « هذا على أن يأمره بعد معرفته ، وهو مع ذلك يقبل منه ، وإلاَّ فلا »[1] .

كما ورد في (وسائل الشيعة ـ كتاب الأمر بالمعروف) عن أبي عبد الله (ع) أنه قال : « إنما يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر مؤمن فيتعظ ، أو جاهل فيتعلّم ؛ فأما صاحب سوط أو سيف فلا » . (لأنه لا فائدة فيه) .

الثالث : الإصرار على ترك الواجب وفعل الحرام : إذا كان تارك المعروف ومرتكب المنكر مصرّاً على سلوكه ومستمراً فيه ، فإن ندم على عمله وارتدّ عن معصيته ، فأمره ونهيه ساقطان . كما أفاد جمع من الفقهاء بأنه إن ظهرت عليه علامات الندم ووضوح العزم على تركه تلك المعصية ، يسقطان كذلك ، طالما عُلم منه ترك الحرام وفعل الواجب .

الرابع : انتفاء وقوع الضرر والمفسدة : فبناء على هذا ، إن احتمل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقوع ضرر على نفسه أو شرفه أو ماله أو على غيره من المسلمين ، سقط وجوبهما .

أما الحديث الذي يقول : « أكرم الشهداء رجل قال كلمة حق عند سلطان جائر ، فقتله ذلك الجائر » ، فقد حمل على صورة أنه لم يكن لديه ظن بوقوع الضرر أو المفسدة ، ابتداءً ، بل كان ظنه عدم وجود الضرر ، فقال الحق وقتل .

لا يعتنى بالضرر الموهوم أو الضرر الطفيف

أما الأحاديث الواردة في مذمّة من يترك الأمر بالمعروف والنهي عن

---

(١) وسائل الشيعة .

المنكر خوفاً من وقوع الضرر ، كالحديث الذي ينقله جابر الأنصاري عن الإمام الباقر (ع) ، ويقول فيه :

« يكون في آخر الزمان قوم مراؤون فينفرون وينسلون ، حدثاء سفهاء ، لا يوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر إلاّ إذا أمنوا الضرر ، يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير . . إلى أن قال : هناك يتمّ غضب الله فيعمّهم بعقابه »[1] .

هذا القبيل من الأخبار يمكن حمله على وجهين :

١ ـ أن يكون المراد من الضرر في هذه الروايات هو الضرر الموهوم أو المشكوك بوقوعه ، أي بدون حصول علم باطني بالضرر ، بل بمجرد احتمال أن ينتهي بهم الأمر والنهي إلى الضرر فيتركونهما ؛ وواضح أن حالة كهذه هي دليل على ضعف الإيمان والدين ، لذا فقد وقعت مورداً للتوبيخ واللوم .

٢ ـ الوجه الآخر هو أن يكون المراد بالضرر ، الضرر الطفيف الذي لا يلتفت إليه من يتمسك بالدين ؛ وأحياناً يترك النهي عن المنكر بتوهم الحرمان من نفع يرجى من مرتكب الحرام ، في حين أنه ليس عذراً عند الله .

والخلاصة : إذا علم أو ظن وقوع ضرر أو مفسدة معتبرة عند العقلاء ، فإن أمر بمعروف أو نهى عن منكر وصلت إليه ، سقط عنه وجوب الأمر والنهي .

تجب مراعاة الأهم فالمهم

يقتضى العلم أن سقوط وجوب الأمر والنهي ، إنما هو في حالة ما إذا لم يكن هناك ضرر في تركهما ، وإلا فتجب مراعاة مراتب الضرر ، أي : إذا كان الضرر في ترك الأمر والنهي أكبر من إتيانهما فيلزم عدم الترك ، أما إن

---

(١) أصول الكافي .

كان الضرر من إتيانهما أكبر ، لزم أن يتركهما .

مثلاً : لو رأى مسلم مسلماً آخر يراد قتله بدون حق ، أو يراد هتك شرفه وعرضه ، وكان يستطيع أن يدافع عنه ويمنعه ، لكنه سيسمع الشتائم ويتعرض لبعض المشاق ، فعليه هنا أن ينهى عن المنكر ؛ ذلك لأن الضرر الواقع عليه نتيجة نهيه عن المنكر ـ يعتبر لا شيء قياساً إلى الضرر الذي سيقع على ذاك المسلم فيما لو ترك النهي .

وحيث إن البناء على الاختصار ، لذا نعتذر عن بسط المقال .

مراتب النهي عن المنكر

للنهي عن المنكر مراتب ثلاث : الإنكار بالقلب واللسان واليد ، ولكل من هذه المراتب الثلاث درجات تجب مراعاتها. أي : إن كانت المرتبة الأسهل والأيسر مؤثرة ، لم يجز استعمال مرتبة أشد ، كما يأتي توضيحه :

١ ـ **الإنكار القلبي** : من لوازم الإيمان أن يغضب المؤمن وينفر من كل منكر وحرام ، وأن يحبّ كل معروف وإحسان ؛ فكلما واجه حراماً وجب عليه أن يعبّر عن سخطه ويصرف وجهه عن هذا الحرام ، ويقطب في وجه مرتكبه ولا يكلمه ، وإن اضطر فيعرض بوجهه عنه عند التكلم معه .

عن أمير المؤمنين (ع) : « أمرنا رسول الله (ص) أن نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرة »[1] .

وعن الإمام الصادق (ع) : « أن الله بعث ملكين إلى أهل مدينة ليقلباها ، فلما انتهيا إلى المدينة وجدا فيها رجلاً يدعو ويتضرع . . إلى أن قال : فعاد أحدهما إلى الله فقال : يا ربّ ، إني انتهيت إلى المدينة فوجدت عبدك فلاناً يدعو ويتضرع إليك . فقال تعالى : امض لما أمرتك به ، فإن ذا رجل لم يتمعّر وجهه غيظاً لي قط »[2] .

(١، ٢) وسائل الشيعة .

أنحى الإمام الصادق (ع) باللائمة على جماعة من أصحابه لتركهم النهي عن المنكر فقال : « لأحملنّ ذنوب سفهائكم إلى علمائكم . . . إلى أن قال : ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهون ، وما يدخل علينا به الأذى أن تأتوه فتؤنبوه وتعذلوه ، وتقولوا له قولاً بليغاً » ؟ قلت : جعلت فداك . إذاً لا يقبلون منا ، فقال (ع) : « اهجروهم واجتنبوا مجالسهم »[1] .

وعنه في حديث آخر : قولوا لفاعل المنكر : إما أن تجتنبنا وإما أن تترك المنكر ، فإن لم يفعل فاجتنبوه .

إذا أثّر النهي عن المنكر بهذه المرتبة فلا ينبغي الانتقال لما بعدها من مراتب ، كما أنه في نفس هذه المرتبة ـ إذا كانت الدرجة الخفيفة منها مؤثرة فلا ينبغي العمل بالدرجة الأشد ، فمثلاً : العبوس أولى من الإعراض ؛ وهذا أولى من القطيعة والهجر .

والخلاصة أنه يتوجب مراعاة الأسهل فالأسهل .

يحدث أحياناً بالنسبة لبعض الأشخاص أن تكون المرتبة الأولى من النهي ـ وهي الإنكار القلبي ـ أشقّ من المرتبة الثانية وهي الإنكار باللسان ، كما لو كان الإنكار بكلام رقيق أسهل من الإعراض والهجر ؛ ففي هذه الصورة يجب تقديم المرتبة الثانية .

٢ ـ **الإنكار باللسان** : وفي هذه أيضاً يقتضى مراعاة الأسهل فالأسهل ؛ فيجب الاكتفاء ـ ابتداءً ـ بالكلام اللين والموعظة والنصيحة ، كما قال تعالى لموسى وهرون (ع) : ﴿ فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكّر أو يخشى ﴾[2] .

فإن لم يترك القول اللين أثراً ، يلجأ إلى القول الخشن ، وفي كلا اللين والخشونة تجب ملاحظة درجاتهما .

---

(١) وسائل الشيعة .

(٢) سورة طه (٢٠) : الآية ٤٤ .

٣ ـ الإنكار باليد : إذا لم ينفع الإنكار باللسان لجأ إلى الإنكار باليد (الجوارح) كالضرب الخفيف وفرك الأذن ، وطالما كان الأسهل مؤثراً فلا يستخدم الأشد ، وإن لم يترك الضرب الخفيف أثراً فلا مانع من التحول إلى الضرب الشديد ، شريطة أن يكون مؤثراً .

أما إن توفّر اليقين بأن المنكر المراد النهي عنه هو مورد غضب الشارع (كزنى المحصنة واللواط) واحتمل أن الضرب الموجب للجرح يكون ذا أثر في ترك العاصي للمنكر ، ولم يكن في هذا الضرب ضرر بالغ عليه ، (بل ضرر بسيط قابل للجبران) ففي هذه الصورة يجب الضرب الشديد ، من باب النهي عن المنكر .

أما إن كان الإنكار باليد لا يفيد في كل حال سقط عنه التكليف .

ميت بين الأحياء

قال أمير المؤمنين (ع) : « . . . فمنهم المنكر للمنكر بقلبه ولسانه ويده ، وذلك المستكمل لخصال الخير؛ ومنهم المنكر بلسانه وقلبه التارك بيده ، فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ، ومضيّع خصلة ؛ ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه ، فذلك الذي ضيّع أشرف الخصلتين من الثلاث ؛ وتمسك بواحدة ؛ ومنهم تارك لإنكار المنكر بلسانه وقلبه ويده ، فذلك الميت بين الأحياء . . إلى أن قال : وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ، ولا ينقصان من رزق »[1] .

الولاية والبراءة

من جملة الواجبات محبة الله ، ومحبة من أمر بمحبتهم ، وعلى رأسهم

---

(١) وسائل الشيعة .

المعصومون الأربعة عشر ، وبعدهم شيعتهم ومحبوهم وذريتهم الطاهرة ، وسلسلة السادة الأجلّاء من حيث انتسابهم ، إذ ورد في القرآن المجيد أن هذه المحبة هي أجر رسالة النبي (ص)[1] .

والمقصود بالبراءة هو معاداة جميع أعداء الله وأعداء أوليائه ، ويأتي على رأسهم الغاصبون والظالمون لآل محمد (ص) . وباختصار : هو معاداة كل من يبرأ الله تعالى ورسوله منه .

ومن ذلك معاداة المعاصي وأهلها ، كما أن من التولي محبة العبادات والطاعات وأهلهما ، وكثيرة هي آيات القرآن والروايات المتواترة عن عظمة هذه الفريضة الإلهية وأهميتها ، والتي هي أهم أركان الدين : وحيث إنها من ضروريات المذهب فلا حاجة لذكرها ، ونكتفي ـ تبركاً وحسب ـ بعدة آيات وأحاديث :

يقول تعالى في كتابه المجيد :

﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فتربّصوا حتى يأتي الله بأمره ؛ والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾[2] .

وعن الإمام الباقر (ع) : « بني الإسلام على خمس : على الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والولاية ؛ ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية »[3] . « . . . ولاية ولينا ، وعداوة عدوّنا ، والدخول مع الصادقين »[4] .

---

(١) ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى ﴾ .
سورة الشورى (٤٢) : الآية ٢٣ .
(٢) سورة التوبة (٩) : الآية ٢٤ .
(٣، ٤) الكافي .

وعن أبي عبد الله (ع) قال : « قال رسول الله (ص) لأصحابه : أيّ عرى الإيمان أوثق ؟ .

فقالوا : الله ورسوله أعلم ؛ وقال بعضهم : الصلاة؛ وقال بعضهم : الزكاة ؛ وقال بعضهم : الصيام ؛ وقال بعضهم : الحج والعمرة ، وقال بعضهم : الجهاد .

فقال رسول الله (ص) : لكل ما قلتم فضل ، وليس به . ولكنّ أوثق عرى الإيمان : الحبّ في الله ، والبغض في الله ، وتولّي أولياء الله ، والتبرّي من أعداء الله »[1] .

وفيما كتبه الإمام الرضا (ع) ضمن بيانه لشرائع الإسلام يقول :

« . . . والبراءة من الذين ظلموا آل محمد (ص) . . والبراءة من الناكثين والقاسطين والمارقين (أصحاب الجمل ، والمقاتلون في ركاب معاوية في صفين ، وخوارج النهروان) الذين هتكوا أصحاب رسول الله (ص) ونكثوا بيعة إمامهم ، وأخرجوا المرأة وحاربوا أمير المؤمنين (ع) . . . » .

« والولاية لأمير المؤمنين (ع) ، والذين مضوا على منهاج نبيّهم (ص) ، ولم يغيّروا ولم يبدّلوا ، مثل : سلمان الفارسي ، وأبي ذرّ الغفاري ، والمقداد بن الأسود ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة اليماني ، وأبي الهيثم بن التيهان ، وسهل بن حنيف ، وعبادة بن الصامت ، وأبي أيوب الأنصاري ، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين ، وأبي سعيد الخدري ، وأمثالهم ؛ رضي الله عنهم ورحمة الله عليهم »[2] .

وعن الإمام الصادق (ع) :

« من سرّه أن يلقى الله وهو مؤمن فليتولّ الله والرسول والذين آمنوا

---

(١) الكافي .

(٢) عيون أخبار الرضا ـ باب محض الإيمان وشرائع الدين .

(وعلى رأسهم أئمة الهدى) وليبرأ إلى الله من عدوّهم »[1] .

وعن الإمام الباقر (ع) :

« والله لـو أحبّنا حجر حشره الله معنا ، وهل الدين إلاّ الحب والبغض »[2] ؟ (بالتفصيل الذي تقدم) . .

إنكار حق آل البيت (ع)

في كتاب الوسائل ، وفي باب تعيين الكبائر ، ورد عن الإمام الصادق (ع) ضمن حديث في تعداد الكبائر قوله (ع) : « وإنكار حقّنا » . أي أن من جملة الذنوب الكبيرة : إنكار حقّ أهل البيت (ع) .

وعنه (ع) في حديث آخر : « وإنكار ما أنزل الله » . أي أن من أعظم الكبائر إنكار أمر أنزله الله في القرآن المجيد .

وظاهرٌ أن المراد بإنكار حق أهل البيت (ع) : إنكار الولاية . وكذلك المراد بـ « إنكار ما أنزل الله » : إنكار حقوق آل محمد (ص) وإنكار ولايتهم .

وقد احتمل بعض العلماء أن المراد بـ « . . والمحاربة لأولياء الله » التي عدّت في رواية أخرى من الكبائر ، هو مخالفة آل محمد (ص) ومعاداتهم .

بناء عليه ، فالمراد بهذه العبارات الثلاث التي تضمنتها الأحاديث الثلاثة هو الولاية .

لكن التحقيق هو أن المراد بإنكار حق أهل البيت (ع) هو الولاية . وتأتي بفتح الواو وكسرها .

أما الولاية (بكسر الواو) فهي حقهم في الحكومة وولاية الأمر ،

---

(١) روضة الكافي .

(٢) بحار الأنوار .

والإقرار بهذا عند الإمامية هو من أصول المذهب، ومنكره خارج عن الإيمان قطعاً .

أما الوَلاية (بفتح الواو) فتعني نصرتهم ومحبّتهم على التفصيل الذي تقدم . وهي من جملة ضروريات الدين الإسلامي ، ومنكرها ـ كما النواصب ـ خارج عن دين الإسلام قطعاً ، وهو أنجس من كل نجس .

وأما « إنكار ما أنزل الله » : فظاهرها إنكار كل ما أنزل الله تعالى من أوامر في مختلف المواضيع . وبناء على هذا فإن إنكار شيء واحد مما أنزله الله (يقيناً) هو ذنب كبير ، ويوجب الكفر في بعض الموارد . وحيث إن أهم الأمور التي أنزلها الله وأكّد عليها هو موضوع الولاية ، كان إنكاره أشد مراتب هذا الذنب الكبير ؛ بل لعل بعض مراتبه هو كالعداء للإمام موجبٌ للكفر القطعي ، كما تمّت الإشارة إليه .

أما « المحاربة لأولياء الله » : فالظاهر أن المراد بهم مطلق أولياء الله ؛ فمن حارب أحد أولياء الله كان مرتكباً للكبيرة ، وحيث إن آل محمد (ص) هم على رأس كافة أولياء الله ، كانت محاربتهم والعداء لهم أشدّ مراتب الكفر .

عن الإمام الصادق (ع) :

« إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : أين الصدود لأوليائي ؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم ، فيقال : هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم ، وعنّفوهم في دينهم ، ثم يؤمر بهم إلى جهنم »[١] .

وعن النبي (ص) في حديث المعراج :

« قال الله تعالى : يا محمد (ص) من أذلّ لي وليّاً فقد أرصدني بالمحاربة ، ومن حاربني حاربته ، قلت : يا رب ، ومن وليك هذا ؟ فقد

---

(١) الكافي .

علمت أن من حاربك حاربته ، قال تعالى لي : ذاك من أخذت ميثاقه لك ولوصيّك ولذريّتكما بالولاية »[١]و[٢] .

---

(١) الكافي .

(٢) من كتاب (الذنوب الكبيرة) طبع الدار الإسلامية ـ بيروت .

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة